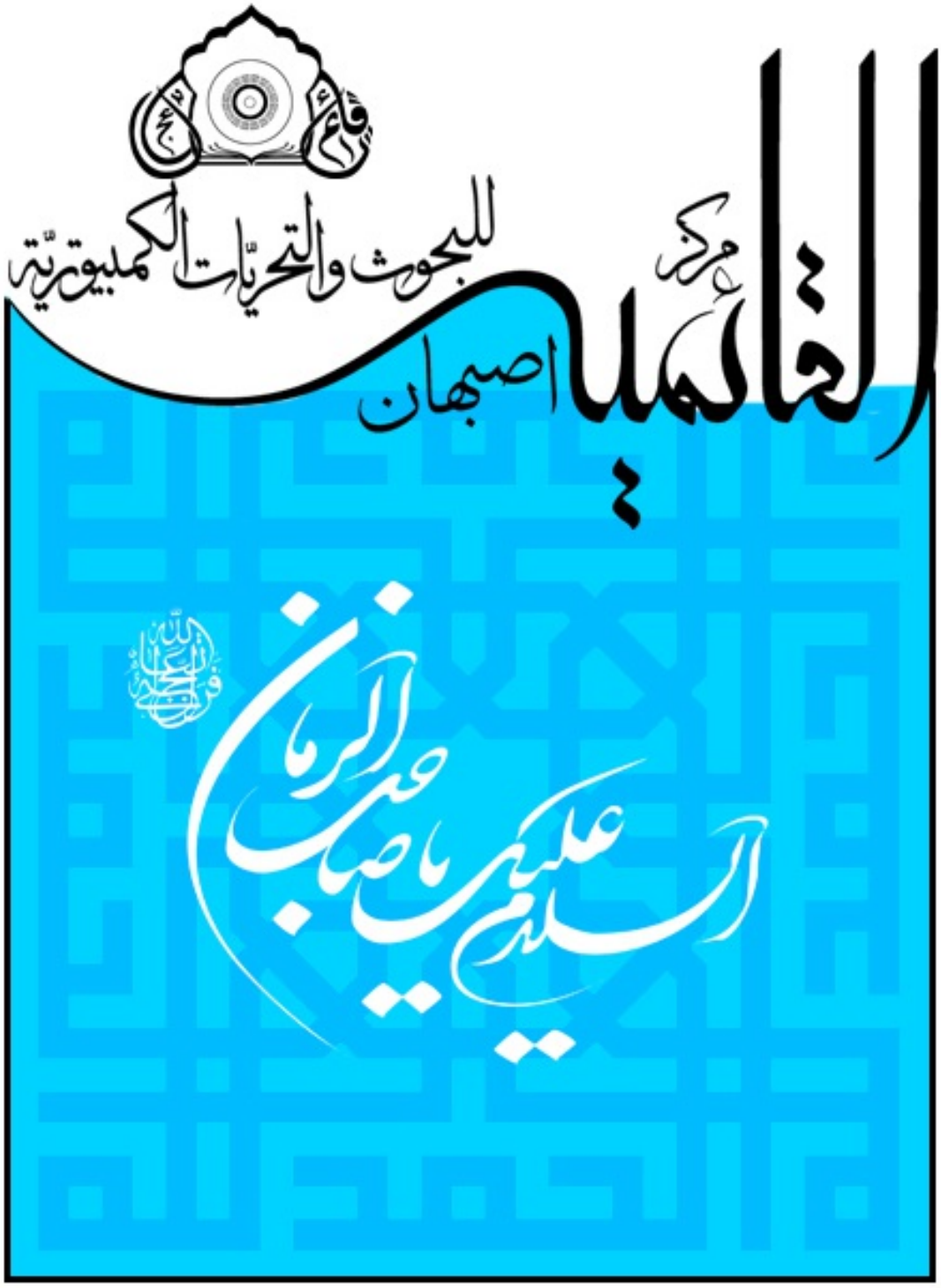

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

أهل البيت

عليهم السلام

في الحياة الإسلامية

محمد باقر الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اهل البيت فى الحياة الاسلامية

كاتب:

محمد باقر حكيم

نشرت فى الطباعة:

موسسه تحقيقات و نشر معارف اهل البيت عليهم السلام

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
اهل البیت فی الحیاة الاسلامیة ----- ۷
اشارة ----- ۷
المدخل ----- ۷
موضوع البحث ----- ۷
تقسیم البحث ----- ۹
نظریة الامامة ----- ۹
الاهداف والادوار ----- ۱۰
المواقف ----- ۱۰
ضرورة الامامة ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
الامامة والاختلاف فی العبادة ----- ۱۱
الامامة والاختلاف فی التأویل ----- ۱۳
الامامة والولایة ----- ۱۳
العصمة والامام المهدی ----- ۱۴
الامامة فی أهل البیت ----- ۱۵
اشاره ----- ۱۵
التکریم والتشریف ----- ۱۵
الامامة فی الذریة سنة ----- ۱۶
حکمة الامامة فی الذریة ----- ۱۷
البعد الغیبی ----- ۱۷
البعد التاریخی ----- ۱۸
الجذر التاریخی و دوره ----- ۱۹

البعد الرسالی ----- ۲۰
الاعداد والواقع التاریخی ----- ۲۱
الاعداد والنظام العام ----- ۲۱
البعد الاجتماعی ----- ۲۲
خلفیات البعد الاجتماعی ----- ۲۲
الاسلام والعلاقات العشائریة ----- ۲۳
الائمة الاثنا عشر ----- ۲۴
اشاره ----- ۲۴
ادلة العدد المحدود ----- ۲۴
تفسیر العدد المحدود ----- ۲۵
التفسیر الغیبی للظاهرة ----- ۲۵
التفسیر التاریخی للظاهرة ----- ۲۶
منهج البحث التاریخی للاعداد ----- ۲۷
الاهداف الرسالیة الثلاث ----- ۲۷
دراسة حرکة الرسالة ----- ۲۸
اشاره ----- ۲۸
موازنة حرکة الهدایة والسلطة ----- ۲۸
القیادة غیر المعصومة ----- ۲۹
مشاکل الدولة و تراجعها ----- ۳۰
الاستنتاج ----- ۳۱
پاورقی ----- ۳۱
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۳۶

اهل البيت فى الحياة الاسلامية

اشارة

اهل البيت عليهم السلام فى الحياة الاسلامية الامامة

پديدآور: حكيم، محمدباقر ۱۹۳۹-۲۰۰۳م.,Hakim, Muhammad Baqir

ناشر: موسسه تحقيقات و نشر معارف اهل البيت (ع)

يادداشت: كتابنامه به صورت زيرنويس

المدخل

المناسبة الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، والصلاة والسلام على أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام،والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله فى أرضه (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، والسلام على شهداء الإسلام فى كل مكان منذ الصدر الاول للإسلام وحتى شهداء هذا العصر. فى البداية أتقدم بالتعازى الحارة، لمناسبة ذكرى شهادة سيدنا ومولانا أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، حيث صادفت هذه الذكرى يوم أمس ونحن وإن كنا ننتمى إلى الإسلام وإلى النبى وأهل بيته الكرام بصورة عامة،ولكننا ننتمى إلى هذا الإمام الهمام الذى كان له دور عظيم فى حياتنا وحياة المسلمين عموماً، فإن الإمام [صفحه ۴] الصادق عليه السلام واتته ظروف خاصة مكنته من القيام بعمل عظيم على مستوى العالم الإسلامى وعلى مستوى بناء الجماعة الصالحة المتمثلة بأتباع أهل البيت عليهم السلام، حيث كان الإمام الصادق عليه السلام الإمام الثالث من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين طال بهم عهد الإمامة نسبياً وكان أطول أئمة أهل البيت عليهم السلام عمراً، باستثناء سيدنا ومولانا الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وقد قام الإمام الصادق عليه السلام باعتبار هذه الخصوصيات من ناحية، والظروف السياسية المحيطة به من ناحية أخرى، وهى ضعف الدولة الأموية وبداية تأسيس الدولة العباسية، كل هذه الظروف وما يشبهها هيأت له فرص نادرة تمكن فيها الامام عليه السلام من أن يديم حركة الائمة عليهم السلام فى الدفاع عن الإسلام والقيام بواجبات الإمامة تجاه الأمة الإسلامية، وبصورة خاصة تأسيس وبناء الحوزات العلمية، وتوسيع نشاطها فى العالم الاسلامى، حتى أصبح الإمام الصادق عليه السلام عنواناً لها ـ أيضاً ـ والاستاذ الذى تربت عليه المدارس الإسلامية، وأخذ منه مختلف علماء الإسلام وعلى مختلف مذاهبهم. الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام حديث واسع، ونحن نعيش هذه الأيام ذكرى شهادته، ولذلك أحاول أن أبدأ بموضوع مهم بمناسبة هذه الذكرى، يرتبط بأئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا الموضوع وهو بحث [صفحه ۵] دور (أهل البيت فى الحياة الإسلامية) بصورة عامة، ولازال ذلك أمنية فى نفسى أن أوفق لتناوله بصورة واسعة نسبياً، ولكن (ما لايدرك كله لا يترك كله) و(لا يترك الميسور بالمعسور)، وقد يتيسر لنا الحديث هنا بصورة عامة ومحدودة حول هذا الموضوع. ومن هذا المنطلق سوف أشير إلى عدة أبعاد، وأحاول فى هذا المجلس الشريف أن أتناول هذه الأبعاد حول أهل البيت عليهم السلام، لأن هذا المجلس الشريف ـ وببركة أنفاس الشهداء والعلماء وأرواحهم الطاهرة، وإخلاص الأخوة الأعزاء الذين لازالوا يتفضلون علينا بالحضور فى هذا المجلس والمشاركة فيه ـ أصبح مجلساً ثقافياً مهيئاً لتناول مثل هذه الموضوعات الفكرية والعقائدية. وسوف أكتفى فيه هذه الليلة بذكر موضوع البحث وبعض خصائصه على أن نبدأ إذا وفقنا الله تعالى فى تناول هذا البحث فى الليالى الآتية، كلما سنحت الفرصة لذلك. [صفحه ۶]

موضوع البحث

أهل البيت عليهم السلام كما نعرف كان دورهم الأساس هو الإمامة وامتداداً للرسالة الإلهية الخاتمة التى جسدت التكامل فى وحدة النبوة والإمامة، وكان وجودهم تعبيراً عن امتداد هذه الرسالة فى خط الإمامة، هذا هو العنوان العام فى دور أهل البيت عليهم السلام، ولكن هذا العنوان العام قد يعتريه شىء من الغموض، مما نحتاج فيه إلى هذا البحث، وهذا الغموض هو أن المتبادر إلى الأذهان دائماً أن الإمامة هى: عبارة عن (الخلافة) المتمثلة بولاية الأمر وقيادة التجربة الإسلامية والحكم الإسلامى، ومن ثم فقد يأتى هذا السؤال إذا كانت الامامة هى عبارة عن الخلافة والولاية والحكم، فأهل البيت عليهم السلام قد حرموا من هذه الخلافة كما نعرف، باستثناء فترات محدودة وقصيرة جداً فى التاريخ الإسلامى، وهى فترة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافة الإمام الحسن عليه السلام وهى مدة قصيرة جداً، وإن كنا ننتظر الخلافة المطلقة لهم التى يقوم بأعبائها إمامنا وسيدنا الحجة بن الحسن (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وبإستثناء ذلك فأن هذه القرون العديدة التى مضت فى تاريخ الإسلام وهى حوالى أربعة عشر قرناً من الزمن، وما يمكن أن نفترض من قرون أخرى تأتى حتى يظهر سيدنا الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ويتولى أهل البيت عليهم السلام هذا الدور، لم يتسلم أهل البيت (الخلافة)، فهل أن ذلك [صفحه ۷] كان تعطيلاً لدورهم فى الحياة الإسلامية طيلة هذه المدة الطويلة، حتى يظهر أمرهم فى المستقبل؟! أو أن الإمامة ودور أهل البيت عليهم السلام هو أوسع وأشمل من قضية تولى الحكم وإدارة هذا الحكم، وأن تولى إدارة الحكم هو أحد الأدوار والأبعاد فى دورهم عليهم السلام الواسع فى حياة الإسلام والمسلمين؟ هذا هو السؤال الذى يشرح العنوان. ونحن نحاول فى هذا البحث أن نبين الأبعاد والأدوار الواقعية المتعددة لأهل البيت عليهم السلام فى الحياة الإسلامية العامة، مضافاً إلى دور الخلافة وقيادة التجربة الإسلامية وولاية الأمر. وهنا يحسن بنا أن نشير إلى أن هذا الموضوع هو من الأبحاث التى يمكن أن يكتب الباحثون فيها موسوعة كاملة، نسميها بـ (موسوعة أهل البيت عليهم السلام)، ولدى أمل أن أكتب ذلك، إلا أن هذا البحث بالخصوص إنما هو فى إطار التخطيط النظرى له، والأمل المستقبلى أن أكتب عدة كتب، كل كتاب قد يشتمل على عدة اجزاء، لبيان هذه الأدوار، وأحد النماذج لهذه الكتب هو كتاب (دور أهل البيت عليهم السلام فى بناء الجماعة الصالحة) الذى يعبر عن دور واحد من هذه الأدوار، وقد وضعت الأطار النظرى والتخطيطى لإنجازها، كما [صفحه ۸] أشرت إلى بعض موضوعاتها فى هوامش الكتاب المذكور، ولكن لا أعرف هل أن الوقت يساعدنى على ذلك، ولاسيما مع ظروفى الخاصة، أو هل أن الأجل الذى ننتظره دائماً يسمح لنا بذلك كى أتمكن أن أقوم بهذه المهمة أو لا؟ وقد طرح علىَّ بعض الأخوة الأعزاء من وسطين مختلفين، أحدهما من وسط الحوزة العلمية، والآخر من وسط الجامعة، أن أقوم بشرح أفكاره على مستوى الفهرست والمنهج العام لهذا الموضوع، من خلال مجموعة من المحاضرات، لتشكل الإطار العام لهذا البحث، وإذا هيأ الله تعالى لنا الفرصة لكتابته تفصيلاً، فنعما هو، وإلا فلعله يوجد فى الكثير من الأعزاء من الكتاب والباحثين والعلماء من تتهيأ له هذه الفرصة، إذا رأى فى هذا البحث فائدة ومنفعة، وإنى أعتقد أن فيه فائدة ومنفعة كبيرة جداً، ولاسيما فى عصرنا الحاضر، الذى أصبح فيه مذهب أهل البيت عليهم السلام من الأسماء البارزة التى يتطلع لها المسلمون من ناحية، والبشرية جمعاء من ناحية أخرى، ولاسيما بعد هذه المسيرة العظيمة المعطاء، مسيرة الشهداء والتضحيات، وقيام الدولة الإسلامية فى هذا البلد الكريم إيران (بلد أهل البيت) على يد علماء الإسلام وعلى يد العالم الربانى الإمام الخمينى قدس سره، [صفحه ۹] بحيث أصبح اسم أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم والقواعد العلمية لهذه المدرسة المتمثلة بالحوزات العلمية رمزاً من رموز هذا العصر، ومعْلَماً من معالمه، بسبب هذا التحول الكبير الذى تحقق فى الأوضاع الاجتماعية والسياسية لهذه المدرسة ولهذا الخط الشريف. ولا أريد فى هذا الحديث أن أدعى أننى سوف أتى بشىء جديد مهم فى المضمون، فقد يكون الكثير من المضامين والموضوعات التى سوف نتناولها بالبحث، من الموضوعات التى تناولها الباحثون فى كتبهم وأبحاثهم، على أنى لا أعلم ذلك لأنى ـ بسبب ضيق الوقت ـ لم أوفق إلى مراجعة البحوث ذات العلاقة بهذا الموضوع إلا بشكل محدود جداً، ومن ذلك بعض بحوث الشهيد الصدر، أو ما تبقى لدى من مخزون فى الذاكرة للمصادر الأصلية (القرآن الكريم والحديث الشريف [۱] ولكن الجديد هو أن تنظيم هذه الأبحاث وترتيبها ومنهجيتها وتكميلها وتطويرها فى بعض الموارد هو الشىء الجديد وهو شىء مهم الذى نحتاجه فى هذه

المرحلة. [صفحه ۱۰]

تقسيم البحث

ونبدأ هذا البحث أولاً: بتمهيد يتركب من خطين رئيسين، لابد من الحديث فيهما قبل الشروع فى أصل الموضوع: أولا: الحديث عن النظرية الاِسلامية فى موقع أهل البيت عليهم السلام فى الرسالة الاِسلامية، وهذا الموضوع من الموضوعات المهمة التى لابد أن نتناولها فى التمهيد من أجل الدخول فى هذا البحث. ثانياً: هو تشخيص الاَهداف والاَدوار العامة لاَهل البيت على المستوى النظرى مع الاِشارة إلى أدلة هذه الاَهداف والاَدوار من الكتاب الكريم والسنة التى وردتنا من النبى صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم السلام.

نظرية الامامة

أما فيما يتعلق بالاَمر الاَول وهو بيان (النظرية)، يلاحظ بأن الرسالات الاِلهية السابقة كانت تعتمد فى إدامتها واستمرارها وبقائها على مجموعة من الاَنبياء الذين يأتون بعد كل نبى من الاَنبياء اُولى العزم، يتحملون مسوَولية هذه الرسالة على مستوى التطبيق والتنفيذ والتفسير، ولكن الرسالة الخاتمة التى هى أعظم هذه الرسالات [صفحه ۱۱] وأفضلها، وأراد الله لها الاِستمرار والبقاء إلى آخر الحياة البشرية، يلاحظ فيها أنها رسالة لا ـ يوجد فيها نبى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لما نص عليه القرآن من قوله تعالى (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...) [۲] وكذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتواتر عنه صلى الله عليه وآله لدى المسلمين من قوله لعلىٍّ عليه السلام: (... أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلّاأنه لا نبىّ بعدى) [۳] . إذن، فهذه الرسالة ـ من ناحية ـ هى أعظم الرسالات الاِلهية، ويراد لها الاِستمرار والدوام أكثر مما يراد للرسالات الاِلهية الاَخرى، ولكن من ناحية أخرى نجد أن هذه الرسالة لم توضع لها ضمانات للاِستمرار والبقاء من خلال إرسال الاَنبياء التابعين، كما وضعت ضمانات للرسالات السابقة التى جاء بها الاَنبياء اُولى العزم، حيث أن هوَلاء الاَنبياء التابعين كانوا يقومون بمهمة إدامة زخم تلك الرسالة ومتابعة الاِشراف على تطبيقها ودعوة الناس إليها، لاَن عمر الرسول [صفحه ۱۲] ـ بصورة عادية ـ يبقى محدوداً بالنسبة إلى عمر الرسالة نفسها، ولا يستمر عمره ـ عادة ـ باستمرار الرسالة نفسها، ولذلك كان الله تعالى يرسل الاَنبياء التابعين من أجل أن يديموا حركة الرسالة ومسيرتها. هذا السوَال هو الذى يفرض الحديث عن قضية ضرورة وجود الاِمامة، وموقع ودور أئمة أهل البيت عليهم السلام من الرسالة الخاتمة، حيث شاء الله تعالى أن يكون استمرار الرسالة الخاتمة عن طريق نظرية (الامامة)، وأن تكون هذه الاِمامة فى أهل البيت سلام الله عليهم. وهذا الموضوع وإن كان يحتاج إلى بحث وشرح واسع، وسوف أشير إليه فى حدود الاِثارة وبعض خطوطه العامة فيما يأتى ـ إن شاء الله تعالى ـ حيث نحاول معالجة ثلاثة أسئلة رئيسية: الاَول: ما هى ضرورة وجود الاِمامة فى الرسالة الخاتمة. الثانى: لماذا كان استمرار الاِمامة فى الرسالة الخاتمة فى خصوص أهل البيت عليهم السلام؟ ولمَ يوضع هذا الدوام بصيغة أوسع وأشمل من هذه الاَسرة الشريفة وهم (أهل البيت)، ووضعت الاِمامة والاِختصاص فى خصوص (آل النبى محمد صلى الله عليه وآله). الثالث: لماذا اختصت الاِمامة بخصوص الاَئمة الاِثنى عشر المعروفين من أهل البيت عليهم السلام. [صفحه ۱۳] وجواب كل واحد من هذه الاَسئلة نحتاج فيه إلى بيان بعدين: أحدهما: تفسير هذه الظاهرة، لاَن الظواهر الاِلهية والاِسلامية بصورة عامة ليست ظواهر اعتباطية، أو مجرد قضايا تعبدية، وإنما هى ظواهر لابد أن يكون وراءها حكمة ومصالح تفسر هذه الظواهر. والبعد الآخر: هو الاِستدلال على ثبوت هذه الظاهرة فى الاِسلام وهذا الاِختصاص بأهل البيت عليهم السلام، وهو بحث تناوله علمائنا فى مختلف العصور، عندما كانوا يتناولون عقيدة الاِمامة. وهذا التصور النظرى الخاص للاِستمرار، من الاِمتيازات التى اختصت بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام على المدارس الاَخرى، لاَن المدارس الاَخرى تدعى أن الرسالة الاِسلامية كان استمرارها بطريق أوسع، ولم يكن الاِختصاص بأهل البيت عليهم السلام. هنا نحتاج ـ أيضاً ـ من الناحية النظرية أن نتبين هذا الموقع الخاص لاَهل البيت عليهم السلام فى

قضية استمرار وإدامة هذه الرسالة. فأولاً: نحتاج بالنسبة إلى النظرية أن نتبين دور الإمامة وضرورتها فى الرسالة الخاتمة من أجل ملأ هذا الفراغ ببيان خصوصياته وهو فراغ ضرورة استمرار الرسالة، حيث أُريد لهذه الرسالة الخاتمة أن تكون رسالة أبدية تنتهى بعمر البشرية. [صفحه ۱۴] وثانياً: نحتاج أن نتبين اختصاص أهل البيت عليهم السلام بهذا الدور دون غيرهم من الناس، وتفسير هذا الاختصاص، وهل أنه هو مجرد اصطفاء غيبى دون وجود تفسير له علاقة بحركة البشرية والحياة الاجتماعية، أو أن هذا الإصطفاء له علاقة بهذه الحياة البشرية والإرتباط بين الأمر الأول والثانى. وثالثاً: نحتاج أن نتبين اختصاص أهل البيت عليهم السلام بخصوص هذا العدد المحدود، وهو الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام. هذا كله فى ما يتعلق بموضوع أصل النظرية، وهو الأمر الأول الذى سوف نتناوله فى فصول ثلاثة على المستوى النظرى. الأول: البحث فى ضرورة (الإمامة) وموقعها فى الرسالة الإسلامية. الثانى: فى اختصاص (الإمامة) بخصوص (أهل البيت عليهم السلام). الثالث: فى اختصاص أهل البيت بالإئمة الأثنى عشر من أهل البيت.

الاهداف والادوار

أما فيما يتعلق بالأمر الثانى وهو الأهداف والأدوار العامة لأهل البيت عليهم السلام، بعد أن نعرف أن لأهل البيت عليهم السلام هذا الموقع الخاص. [صفحه ۱۵] وفى هذا البحث سوف نلاحظ أن هناك سبعة أهداف وأدوار رئيسية وأساسية، يمكن أن نستنبطها من حديث أهل البيت عليهم السلام، عند الرجوع إلى أحاديثهم عليهم السلام عن دورهم فى حياة المسلمين، وهذا البحث سوف نشرحه من خلال تسمية الأدوار، وبيان النصوص ذات العلاقة بتشخيص هذه الأدوار أو حقيقتها: الدور الأول: حفظ الحياة الانسانية، لما ورد فى شأن الإمامة وأهل البيت عليهم السلام بأنهم أمان لأهل الارض. الدور الثانى: قيادة التجربة والحكم الإسلامى وولاية الأمر. الدور الثالث: المرجعية الدينية والفكرية للمسلمين. الدور الرابع: المحافظة على الشريعة الإسلامية، وبقاء هذه الرسالة محفوظة ومنزهة عن التحريف والتزوير. الدور الخامس: المحافظة على وجود الأمة الإسلامية ووحدتها وحيويتها. الدور السادس: بناء الجماعة الصالحة، ولذلك فإن موضوع بناء الجماعة الصالحة يكون أحد الأدوار والأهداف التى استهدفها أهل البيت عليهم السلام فى الحياة الإسلامية. الدور السابع: تجسيد القدوة والأسوة فى السلوك الإسلامى [صفحه ۱۶] الراقى، وإيجاد المثال الخارجى له. وقد يستحق كل واحد من هذه الأدوار بحثاً أو كتاباً مستقلاً، ولكننا فى هذا الإستعراض سوف نحاول التلخيص والإقتصار على القضايا الرئيسية مع الإشارة إلى أدلتها وذكر العناوين التى يمكن أن تكون مجالاً للبحث التفصيلى مع الإشارة إلى بعض المصادر التى تناولت هذه الأبحاث التفصيلية.

المواقف

وإلى جانب هذين الأمرين أو الخطين من البحث (النظرية والأدوار) يوجد بحث ثالث ـ أيضاً ـ مهم، وهو استعراض (المواقف) والإنجازات المهمة الرئيسية التى اختص أو تميز بها كل واحد من هؤلاء الأئمة الإثنى عشر إلى جانب المساهمة فى الأدوار المشتركة وتحقيق الأهداف العامة، حيث يمكن تقسيم البحث فى هذا الموضوع على عدد الأئمة أنفسهم، وبيان الأدوار من خلال المواقف الخاصة لهم والتى كان لها بطبيعة الحال أثر مهم فى الوقت نفسه فى تحقيق الأهداف العامة المشتركة. وبعد هذا العرض، نأتى إلى معالجة الأسئلة الذين أثرناها فى الأمر. [صفحه ۲۱]

ضرورة الامامة

اشاره

السؤال الأول: لماذا كان من الضروري أن تستمر الرسالة الإسلامية من خلال (الإمامة)، مع أن هذه الرسالة هي رسالة خاتمة، ثم لماذا لم يكن هذا الإستمرار بهذه الصورة في الرسالات السابقة، بل كان من خلال النبوات التابعة؟ أما عدم الإستمرار من خلال النبوات التابعة، فلأن الاستمرار للنبوة في الرسالات السابقة كان أمراً طبيعياً، وذلك للوصول بالرسالة والإنسانية معاً إلى مرحلة التكامل الرسالي والإنساني، فكان من الضروري أن يأتي أنبياء تابعون للرسالة الإلهية التي يرسل الله تعالى بها نبياً من الأنبياء أولي العزم، لأن الرسالات الإلهية كانت تتعرض إلى التحريف فيها لدرجة تفقدها دورها الرسالي المطلوب من ناحية، كما أن الرسالات لم تبلغ التكامل الرسالي المفروض الذي بلغته في الرسالة الخاتمة من ناحية أخرى، والإنسانية لم تبلغ مرحلة التكامل الرسالي في ثبات الأصول والمبادىء الأساسية للرسالات الإلهية في [صفحه ۲۲] مسيرتها من ناحية ثالثة، فنحتاج إلى هذه النبوات التابعة التي قد يندمج فيها دور النبوة والإمامة في بعض الأحيان، وقد ينفصل حسب طبيعة المرحلة والزمان، فنشاهد أنبياء دون إمامة لإبلاغ الرسالة وبيان أو كشف ما تعرضت له من تحريف أو أوصياء دون نبوة، ليكون دورهم هو مواصلة دور النبوة السابقة المحدود. أما في الرسالة الخاتمة وبعد فرض تكاملها الرسالي والإنساني معاً، سواء على مستوى النظرية أو ثبات الأصول والمبادىء الأساسية للرسالة، فنحن لسنا بحاجة إلى أنبياء تابعين، ولذا أنقطعت النبوة [۴] . وأما لماذا كان هذا الإستمرار من خلال خط الإمامة في الرسالة الخاتمة؟ فقد أشرنا في حديثنا إلى أنه قد يبدو لأول وهلة أن الحاجة في الرسالة الخاتمة إلى الإستمرار والبقاء ـ بسبب أهميتها وجلالتها وسموها وامتيازاتها على الرسالات السابقة ـ أكثر من الحاجة بالنسبة [صفحه ۲۳] إلى الرسالات السابقة، لأنها الرسالة الأهم والأعظم، فكيف لا تحتاج إلى من يتابعها، مع أن الرسالات الأقل إحتاجت إلى مثل هذه المتابعة؟ والسبب في ذلك هو أن هذه الرسالة، وإن أصبحت من حيث مضمونها ومحتواها الرسالي رسالة خاتمة وكاملة، ولا ـ تحتاج عندئذ إلى متابعة على مستوى (الأنبياء) لبيان أصل الرسالة وثبت الأصول، لأن النبي صلى الله عليه وآله أكملها في بلاغها وعرضها على الناس، وقد صرح القرآن الكريم بذلك: (...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...) [۵] إذن، فالرسالة الخاتمة من هذه الناحية لا ـ تحتاج إلى إكمال على مستوى البلاغ والتبشير والإنذار الذي يتحمله الأنبياء عادة، لمعالجة الإنحرافات وتثبيت الأصول والأسس، نعم قد تحتاج إلى إكمال بيان بعض التفاصيل، ولكن ذلك وحده لا يحتاج إلى الإمامة ودورها الكبير في النظرية الإسلامية. كما شاء الله سبحانه وتعالى أن تختص الرسالة الإسلامية من بين الرسالات الأخرى بضمانات ووسائل الحفظ من الضياع والتحريف [صفحه ۲۴] المطلق في مضمونها، وذلك من خلال عدة عناصر أساسية ومهمة، يأتي في مقدمتها القرآن الكريم، والمحافظة عليه من التحريف والزيادة والنقصان، ببركة قيام النبي صلى الله عليه وآله بتدوينه ووجود العدد الكبير من الصحابة الأفذاذ الصالحين وفي مقدمتهم الإمام علي عليه السلام، الذين تمكنوا من حفظ القرآن في الصدور، وغير ذلك من الأسباب الغيبية أو المادية (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [۶] ولاشك أن لوجود أهل البيت عليهم السلام دور مهم وعنصر أساس ـ أيضاً ـ في ذلك [۷] . وهي بذلك لم تعد بحاجة إلى نبوات تابعة، ولكن مع ذلك كله، تبقى الرسالة الإسلامية الخاتمة بحاجة إلى وجود متابعة لها على مستويات أخرى، ومن أجل ذلك كان وجود الإمامة وإستمرار الرسالة من خلالها ضرورة لازمة. وبصدد توضيح ذلك، أشير إلى ثلاث نقاط رئيسية، لابد من الإهتمام بها ومتابعتها وبحثها بدقة: [صفحه ۲۵]

الامامة والاختلاف في العبادة

النقطة الأولى: أن الأنبياء عندما يرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى عباده كانوا يقومون بمهمات ذات بعدين رئيسيين: أحدهما: البلاغ والإنذار لهؤلاء الناس فيبيّنوا الرسالة بتفاصيلها المطلوبة، وهذا ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله في الرسالة الخاتمة، وقام به الأنبياء السابقون ـ أيضاً ـ في الرسالات الأخرى. ثانيهما: مواجهة ظاهرة الإختلاف في المجتمع الإنساني والعمل على حله، لأن الله تعالى يقول: (...فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ...) [۸] . وتدخل مهمة

التزكيـة والتطهير ومهمـة التعليم، كنتيجـة لهاتين المهمتين الرئيسـيتين. إذن، قضـية الإختلاف هى قضـية مهمـة جداً يواجهها الأنبياء فى عملهم وحركتهم، والإختلاف هنا هو أختلاف فى المثل العليا التى يتخذها هؤلاء الناس للعبادة وفهمهم للحياة والكون وحركتهم [صفحه ۲۶] الاجتماعية، حيث يتخذ هؤلاء الناس لهم الآلهة المصطنعة ـ والمثل المحدودة، أو التكرارية [۹] والأسماء المزيفة المستلهمة من القوى الموجودة فى هذا الكون، أو الشهوات والأهواء والميول، أو الطغاة والمستكبرين والمترفين، أو من تقليد الآباء والأجداد ـ يعبدونها من دون الله. ولما كان عمر الرسول محدوداً ـ عادة ـ لايستوعب الزمان الكافى لحل هذا النوع من الاختلاف خارجياً، بحيث يمكّنه من إزاحة جميع العوائق والموانع التى تقوم أمام الرسالة فى حركتها الاجتماعية والإنسانية، تصبح الرسالة بحاجة إلى قيادة معصومة للحركة الاجتماعية وإدامة العمل لحل هذا النوع من الإختلاف، وهذه الحاجة ثابتة فى كل الرسالات الإلهية، فكيف إذا كانت الرسالة رسالة خاتمة طويلة، يراد لها أن تعم الأرض كلها، وتزيل جميع الآلهة المصطنعة، والأمثلة التى يبتدعها الإنسان وتنتصب فى وسط الطريق. لذا كانت الحاجة قائمة لوجود القائد وهو الإنسان الكامل الذى نعبر عنه بالإمام، ليقود معركة تحرير الإنسان من كل هذه الآلهة [صفحه ۲۷] والقيود، وتحقيق العبادة المطلقة لله تعالى، دون غيره من الآلهة، وهو المثل الأعلى للحق، لأن معركة التحرير هذه تحتاج إلى شخص يتصف بالاستيعاب الكامل والرؤية الواضحة للرسالة من ناحية، والشعور العالى بالمسؤولية أمام الله تعالى فى إدامة المعركة والإدارة القوية فى إدارة المعركة التى تعتمد على جهاد النفس من ناحية أخرى. وهذا السبب هو ما أشار إليه الشهيد الصدر قدس سره فى حديثه حول ضرورة الإمامة بعد الرسول، وقد أعطى الإمامة مضموناً شاملاً، يتحد مع النبوة أحياناً، عندما تكون الحاجة إلى النبى والقائد معاً، ويفترق عنها أحياناً أخرى، عندما تكون الحاجة إلى القائد وحده، ولكنه على أى يرتبط بهذه المهمة الخاصة وهى قيادة المعركة، وهو ما عبر عنه الشهيد الصدر قدس سره بقيادة المعركة التى يواجهها الأنبياء فى المجتمعات الإنسانية، لإزالة كل الأمثلة المزيفة والآلهة المصطنعة الذى يخترعها الإنسان ويبتدعها، سواء كانت هذه الأمثلة المصطنعة والآلهة المزيفة عبارة عن طواغيت يحكمون بين الناس أو كانت شهوات وهوى يتحكم فى مسيرة هؤلاء الناس، أو كانت أفكار منحرفة يختلقها الإنسان ويبتكرها، فيجعلها مثالاً له يقتدى ويهتدى به، فيتحول إلى [صفحه ۲۸] إله يعبده من دون الله، كما قال تعالى: (إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَآ أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَـنٍ...) [۱۰] فهى معركة إزاحة هذه الآلهة المصطنعة عن طريق الهدى والصلاح والخير الذى يقوده الأنبياء [۱۱] . وهذه المعركة عمرها أطول من عمر النبى، فإن عمر الرسول مهما طال زمانه، لا يستوعب زمان الإختلاف، لأن الله تعالى جعل قضية الإختلاف بين الناس سنّة من السنن الطبيعية التى تحكم حركة التاريخ فى كل الأدوار، فقضية الأختلاف، قضية قائمة لا يختلف فيها زمان عن زمان، ولا تنتهى هذه القضية إلا بنهاية حركة البشرية، والقرآن الكريم يشير إلى ذلك ـ أيضاً ـ فى قوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَحِدَةً وَلاَيَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ - إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ...) [۱۲] . إذن، فالمعركة ضد الإختلاف تحتاج إلى من يقودها، وزمنها أطول من زمن النبى، ولو كانت هذه المعركة تنتهى بزمن النبى كان يمكن [صفحه ۲۹] للنبى أن ينهى المعركة ولا نحتاج إلى من يقودها من بعده، ولكنه لما كانت هذه القضية هى سنّة تحكم حركة التاريخ، فنحتاج إلى من يقود هذه المعركة، معركة إزاحة الآلهة المزيفة والمصطنعة أمام الحركة التكاملية للإنسان. وقيادة هذه المعركة تارة تكون من قبل نبى يقوم بدور الإمام ـ أيضاً ـ كما فى كثير من الأنبياء السابقين التابعين، وأخرى تكون من قبل الإمام الذى لا يتصف بعنوان النبوة لعدم الحاجة إليها، ولما كانت الرسالة الإسلامية هى الرسالة الخاتمة، الكاملة، المحفوظة، ونبوة محمّد صلى الله عليه وآله لا نبوة بعدها، اقتضى أن يكون الدور للإمامة التى لا تتصف بالنبوة. والشواهد على هذه الحقيقة عديدة وليست مجرد الآيات القرآنية التى أشرت إليها، وإن كانت تكفى هذه الآيات أن تكون شاهداً ودليلاً عليها، ولكن الواقع التاريخى شاهد ـ أيضاً ـ على هذه الحقيقة، فإن ظاهرة الأختلاف ظاهرة قائمة وثابتة فى التاريخ الإنسانى ـ كما ذكرنا ـ كما أنها ظاهرة ثابتة فى التاريخ الإسلامى فى زمن النبى وبعده، ولا يمكن لأحد من الناس أن ينكرها أو يخفيها، وهذه القضية ليست مجرد قضية نظرية، وإنما هى قضية ذات واقع قائم فى المجتمع [صفحه ۳۰] الإنسانى والإسلامى كله، وهذا هو ما نواجهه ـ أيضاً ـ فى هذا العصر والزمان.

الامامة والاختلاف فى التأويل

النقطة الثانية: إن الرسالات الإلهية تواجه ـ عادة مع غض النظر عن الإختلاف الأول الذى ذكرناه فى النقطة الأولى ـ بعد ثبوتها ورسوخ أقدامها نوعاً آخر من الإختلاف وهو الإختلاف فى تفسير هذه الرسالة، وفهم مداليها وتأويلها وتجسيد المصاديق الخارجية فيها، وهذا نوع آخر من الإختلاف، أشار إليه القرآن الكريم فى كثير من الآيات الكريمة التى تحدث فيها عن أهل الكتاب وما اختلفوا فيه من تأويل الكتاب، منها قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَـمَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ - أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلَـلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ - ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَـبَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِى الْكِتَـبِ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ) [۱۳] . [صفحه ۳۱] وقوله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىَ إِسْرَءِيلَ الْكِتَـبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـهُم مِنَ الطَّيِّبَـتِ وَفَضَّلْنَـهُمْ عَلَى الْعَـلَمِينَ - وَءَاتَيْنَـهُم بَيِّنَـتٍ مِنَ الاَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُواْ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـمَةِ فِيما كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [۱۴] كما أن بعض الآيات القرآنية أشارت ـ أيضاً ـ إلى كلا النوعين من الإختلاف، كما فى قوله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنـتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم) [۱۵] . وهذا النوع من الإختلاف هو معركة أخرى تخوضها الرسالات الإلهية ـ عادة ـ وهو غير الإختلاف الناشىء من تحريف أصل الرسالة بمعنى ضياع بعض معالمها المهمة، والذى حفظ فى الرسالة الإسلامية، فهو تحريف فى التطبيق والفهم، ويحتاج ـ أيضاً ـ إلى قيادة [صفحه ۳۲] معصومة فى فهمها الكامل للرسالة وفهم مضمونها وآفاقها، وفى معرفتها لتفاصيلها التى لايمكن ـ عادة ـ للنبى أن يبينها لجميع الناس ـ كما تدل على ذلك شواهد كثيرة [۱۶] ـ وكذلك معصومة فى حرصها على الرسالة وقيمها ومُثلها ومبادئها وصبرها واستقامتها فى هذا الطريق، وتحمّلها لمسؤوليتها وأعبائها. وقد كان يتم ذلك ـ أيضاً ـ عن طريق النبوات التابعة من الرسالات الإلهية الأخرى، أو الأوصياء الذين كانوا يتحملون هذا الدور من الإمامة ـ أيضاً ـ وأما فى الرسالة الخاتمة فقد تمحّض هذا الأمر فى دور الأمامة. وهذا النوع من الإختلاف هو الذى يفسر لنا ما ورد فى أحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عندما كان يتحدث مع على عليه السلام، وغيره عن مستقبل الايام فى التاريخ الإسلامى وتطورات الأحداث فيه، حيث كان هناك معركتان إحداهما على التنزيل كان يقودها رسول الله صلى الله عليه وآله فى مواجهة المشركين وأهل الكتاب، ومعركة أخرى هى معركة على [صفحه ۳۳] التأويل الذى كان يخبر الرسول عن دور الإمام على عليه السلام فى قيادتها، فقد روى سعيد بن المسيب، عن سعيد بن مالك أن النبى صلى الله عليه وآله قال: «يا علىّ أنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبى بعدى، تقضى دينى وتنجز عدتى وتقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل، يا علىّ حبّك إيمان وبغضك نفاق ولقد نبّأنى اللّطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة، معصومون مطهّرون، ومنهم مهدىّ هذه الأمة، الّذى يقوم بالّدين فى آخر الزمان كما قمت به فى أوله» [۱۷] . إذن، فهذه المعركة هى قضية حقيقية قائمة فى التاريخ الرسالى والتاريخ الإسلامى وقد ذكرها القرآن الكريم على مستوى تاريخ الأنبياء ـ أيضاً ـ وأكدتها الأحداث التى جرت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كحقيقة من الحقائق التاريخية، أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله فى مستقبل الأيام. [صفحه ۳۴]

الامامة والولاية

النقطة الثالثة: إن الرسالة الخاتمة إمتازت بإمتيازات عديدة لم تشبهها الرسالات الإلهية السابقة وكان من جملة الإمتيازات فى الرسالة الخاتمة ـ كما ذكرنا سابقاً ـ هو أن الله تعالى شاء أن يحفظ هذه الرسالة بمضمونها الرسالى بصورة كاملة من خلال القرآن الكريم، ولذا لم تحتاج إلى النبوات التابعة، أما الرسالات السماوية الأخرى فقد تعرضت للتحريف والضياع، لأسباب يطول الحديث فيها [۱۸] .

وكان أحد الاِمتيازات المهمة ـ أيضاً ـ هو أنها تمكنت من أن تقيم الدولة الاِسلامية (الكيان السياسى الاِسلامى) فى المجتمع الاِنسانى فى عصر صاحب الرسالة وبعده. فقد دعت الرسالات السابقة إلى إقامة الحق والعدل بين الناس وإلى تحكيم ما أنزل الله تعالى بين الناس، فقد قال القرآن الكريم فى سياق الحديث عن نزول التوراة: (...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَـفِرُونَ)، وقال فى سياق الحديث عن نزول [صفحه ۳۵] الاِنجيل: (...وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّـلِمُونَ)، كما قال فى سياق الحديث عن نزول القرآن الكريم: (...وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَـسِقُونَ) [۱۹] . إذن، فقضية الدعوة إلى إقامة الحكم بين الناس ليست خاصة بخصوص الرسالة الاِسلامية، بل أن قضية إقامة الحكم بما أنزل الله بين الناس هى قضية ترتبط بكل الرسالات الاِلهية، ولكن شاء الله تعالى فى حركة وتاريخ هذه الرسالات الاِلهية أن يقوم الحكم بين الناس كحالة سياسية اجتماعية خارجية، نعبّر عنها بقيام الدولة الاِسلامية، شاء الله تعالى أن يقوم ذلك فى خصوص تاريخ الرسالة الخاتمة، دون بقية الرسالات الاَخرى. فنوح عليه السلام لم يتمكن من تحقيق قيام دولة إسلامية، ولو بمستوى الاِسلام الذى جاء به نوح عليه السلام. كما أن إبراهيم عليه السلام وهو شيخ الاَنبياء لم يتمكن أن يقيم هذا الكيان السياسى الاِسلامى، وموسى عليه السلام شاء الله تعالى أن يقبضه إليه قبل أن يتمكن من إقامة هذا الكيان السياسى الاِسلامى، بعد أن كان قد مهد [صفحه ۳۶] له بإخراج بنى إسرائيل من سلطة فرعون، وجاء بألواح التوراة، ليحقق ذلك، ولكنهم رفضوا الاِستمرار فى المسيرة ودخول الاَرض المقدسة، لتحقيق هذه المهمة الاِلهية الصعبة، فكتب الله عليهم أن يتيهوا فى الاَرض أربعين سنة [۲۰] . وكذلك الحال فى النبى عيسى عليه السلام، حيث رفعه الله قبل أن يحقق هذا الهدف الاِسلامى العظيم. ولم يتمكن الحواريون من أن يقوموا بذلك ـ أيضاً ـ فولدت الرهبانية والاِنعزال، وانحرفت المسيحية على يد بولس، عندما تحولت إلى الحكم والسلطان والقيصرية. وشاء الله تعالى أن يكون ذلك من امتيازات نبوة محمد صلى الله عليه وآله. إذن، فهذا من الامتيازات الخاصة التى امتازت بها الرسالة الاِسلامية [۲۱] . [صفحه ۳۷] إذن، فعندما تكون من خصائص هذه الرسالة وجود هذه الدولة، فهذه الدولة تحتاج إلى قيادة تقودها، وهذه القيادة لابد أن تكون فى منذ البداية معصومة، لتتخذ الدولة صيغتها الاِسلامية الكاملة فى [صفحه ۳۸] التطبيق المتميزة عن الصيغ الاَخرى، وهذا إنما يتحقق من خلال الاِمامة. لاَن مثل هذه الدولة، ومثل هذه التجربة لا يمكن أن تقاد وبصورة كاملة وصحيحة، بحيث تحقق كل الاَهداف التى جاءت بها الرسالة، إلاّ بمثل هذه القيادة التى نعبّر عنها بالاِمامة. وهنا ينفتح أمامنا باب بحث الخلافة الاِلهية، فأن بحث الخلافة الذى هو من الاَبحاث الكلامية المهمة التى يتناولها علماؤنا، ويستدلون فيها على تشخيص من يتولى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ويقوم بإدارة هذه الدولة، هذا البحث فيه بعدان: بُعد يرتبط بالجانب العقائدى وهو إستمرار الرسالة فى الاِمامة وعصمة هذه الاِمامة كعصمة الرسالة وهو ما نريد أن نشير إليه فى هذه الحديث، وبُعد آخر يرتبط بالجانب التاريخى والسياسى والنصوص التى وردت فى ذلك، والتحولات الاجتماعية والظروف السياسية التى اقترنت بهذا الموضوع، وهذا البعد له حديث آخر غير هذا الحديث [۲۲] . [صفحه ۳۹] إذن، فنحن عندما نتحدث عن موضوع الخلافة، وأن هذه الخلافة لابد أن يقوم بها الاِمام المعصوم، وتكون تجسيداً واستمراراً للحكم الاِلهى النبوى، عندما نتحدث عن هذا الموضوع، لا ـ نتحدث عن أمر تاريخى ذهب مع الزمن وانتهى وقته، وإنما نتحدث عن أمر عقائدى، يرتبط بفهمنا للاِسلام وللرسالة الاِسلامية، ولتكامل هذه الرسالة، وهذا قضية مهمة جداً. إذن، فالنقطة الثالثة فى ضرورة الاِمامة، هى ضرورة وجود قيادة معصومة للحكم الاِسلامى والكيان السياسى. لاَن هذا الكيان السياسى من أجل أن يكون قادراً على تطبيق الحق والعدل على البشرية بصورة كاملة ودقيقة، تتناسب مع الهدف الكبير لهذه الرسالة الاِسلامية، لابد له من وجود قائد معصوم لهذا الكيان السياسى الاِسلامى حتى يمكن تحقيق هذا الهدف الكبير، ولذلك نعتقد بظرورة الاِمامة المعصومة من أجل تحقيق هذا الهدف.

العصمة والامام المهدى

نحن نعتقد أنه بسبب عدم تولى الاِمامة المعصومة لقيادة الحكم الاِسلامى لتحقيق هذا الهدف العظيم فى إقامة الحق والعدل الكامل، [

صفحه ۴۰] شـهد التاريخ الاِسـلامى هذا القدر الكبير من الاِنحراف فى مجال تطبيق العدل والحق، بحيث جعل الرسالة الاِسـلامية كلها فى موضع الشك والريب بسـبب الظلم والاستبداد والطغيان الذى مارسه الحكام المسلمون فى عدة قرون من الزمن، فى العهود الاَموية والعباسـية والعثمانيـة، ولولا الفترة القصـيرة للقيادة المعصومـة لرسول الله صـلى الله عليه وآله وللاِمام على عليه السـلام التى تمكنت أن تبين الوجه الناصع الحقيقى لطبيعـة الحكم الاِسـلامى، لكان مواجهـة هـذه الشـبهة واقعياً وعملياً أمراً عسـيراً، ولاسـيما وأن فترة الخلافة الاَولى بعـد رسول الله التى كـانت تتسم بالاِعتـدال النسبى، شـهدت الاِضـطراب والتذبـذب فى صـيغة الحكم الاِسـلامى، وفى النتـائج المروعـة التى انتهت إليها فى خلافـة الخليفـة الثالث، ومن هنا كانت وجود فكرة الاِمام المنتظر(عـج) الذى يملاَ الاَرض قسـطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، فكرة مطروحـة منذ البداية فى الرسالة الاِسـلامية وهى مما يجمع عليها المسـلمون، وذلك من أجل تحقيق هذا الهـدف الكبير فى الحكم والانتشار وفى الكيف والتطبيق الكامل للحكم الشـرعى، وعندئـذٍ تكون كل المساعى التى بـذلها أئمـة أهل البيت عليهم السـلام وهم بعيـدون عن قيادة الحكم الاِسـلامى والتجربـة الاِسـلامية، وكذلك كل المساعى [صـفحه ۴۱] الاَخرى التى بـذلها ويبـذلها العلمـاء المجاهـدون والمؤمنون فى طول التاريـخ الاِسـلامى، كل هـذه المحاولات إنما هى تمهيـد لظهور هـذه الـدولة المباركة الكريمة التى تملاَ الاَرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً. [صفحه ۴۵]

الامامة فى أهل البيت

اشاره

أما جواب السؤال الثانى: وهو أنه إذا سـلمنا بضـرورة اسـتمرار خط الاِمامـة بعـد الرسالـة الخاتمـة، فلماذا كان خط الاِمامـة مسـتمراً فى خصوص أهل البيت عليهم السـلام، وهذه الاَسـرة الشريفة الطيبة، هل أن القضية مجرد قضية تشريف وتكريم لرسول الله صلى الله عليه وآله، فجعلت الاِمامة فى أهله وأسـرته، أو أن هناك شـيئاً أهم وأعظم وأوسع من ذلك بالنسـبة لاستمرار الاِمامة فى أهل البيت عليهم السلام؟ كان يمكن أن يفترض نظرياً أن يكون الاَئمة المعصومون فى أسرة ووسط آخر غير هذا البيت الشريف، كما عرفنا فى التاريخ الاِنسانى والرسالى وجود أسـر وجماعات أخرى كان فيها أئمة معصومون، كما هو الحال فى إسـحاق وإسماعيل من ذرية إبراهيم عليه السـلام، وكما فى الاَنبياء من ذرية يعقوب الذى يسـمى فى القرآن الكريم بإسـرائيل، فأن هؤلاء كانوا يتصفون بالعصمة ـ أيضاً ـ وكان بعضـهم له دور الاِمامة فى حركته الرسالية، ومن ثم فلماذا كان إختصاص الاِمامة فى خصوص [صفحه ۴۶] أهل البيت عليهم السلام، فهـل أن القضـية ـ كمـا أشـرنا ـ هى قضـية تكريم وتشـريف لرسول الله صـلى الله عليه وآله باعتباره الرسول الخاتم، فأراد الله تعالى أن يكرَّمه ويشـرّفه بـذلك، ويجعل ذلك نعمـة منه سـبحانه وتعالى على هـذا العبد الصالح الذى أفنى كل وجوده فى سبيل الاِسـلام وفى سبيـل الله وفى سبيـل تكامـل مسـيرة الاِنسـان، أو أن تكون القضـية تعويض إلهى عن الجهود التى بـذلها فى سبيـل الله والحق والعـدل والاِنسانيـة، كما قـد يفهم ذلك من قوله تعالى: (...قُل لاَّ أَسْـَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى...) [۲۳] فيكون أجراً له على ذلك، وإنما اختص هـذا الاَجر به دون بقيـة الاَنبياء الذين أكد القرآن على أنهم لا يبغون أجراً على رسالتهم إلا الاِيمان بالله تعالى، لاَن النبى صلى الله عليه وآله قـد بذل جهداً لم يبذل مثله أحد من الاَنبياء، وقد تحمل من الآلام والمحن ما لم يتحمله أحد قبله ولا بعده... أو أن هناك شـيئاً آخر غير موضوع التكريم والتشـريف؟ هنا يمكن أن نشـير بهـذا الصدد إلى عدة نقاط ـ أيضا ـ مع قطع النظر عن الروايات التى وردت فى هذا الموضوع والاِستدلال على إمامة أهل البيت عليهم السلام من خلال النصوص الشريفة التى دلت على [صفحه ۴۷] إمامتهم [۲۴] .

التكريم والتشريف

النقطة الاَولى: هى قضية التكريم والتشريف التى أشرنا إليها فى طرح السؤال، حيث نلاحظ من خلال القرآن الكريم ومسيرة التاريخ الرسالى لكل الرسالات الاِلهية أن الله تعالى شاء بلطفه وكرمه وفضله على أنبيائه بأن يجعل من ذرياتهم أئمة وهداة يقومون بهذا الواجب الاِلهى تكريماً لهم ونعمة منه تعالى عليهم، وكان هذا التكريم فى الوقت نفسه رغبة وأمنية من أمنيات الاَنبياء أنفسهم، تعبر عن حالة فطرية فى الاِنسان الكامل هى الاِتجاه والرغبة إلى البقاء والاِستمرار من خلال ذريته، وقد أكد هذه الحقيقة الفطرية القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة فى عدة مواضع [۲۵] . [صفحه ۴۸] إذن، فهذه القضية هى قضية ترتبط بكلا الجانبين، الجانب الاِلهى الخالق المنعم الكريم الجواد المتفضل على أنبيائه، المجيب لدعائهم وندائهم، وبالجانب الاِنسانى العبودى، المتمثل بهؤلاء الاَنبياء الذين أخلصوا لله تعالى فى العبودية ـ أيضاً ـ فأنه من جملة إخلاصهم وإحساسهم بالعلاقة الاَكيدة مع الله تعالى، إنهم كانوا يتمنون على الله ويرجون منه ويدعونه فى أن يجعل من ذرياتهم أئمة وهداة، يضمن لهم البقاء والاِستمرار فى عبوديتهم لله تعالى ودورهم ومهمتهم فى الحياة الاِنسانية. فهذا إبراهيم عليه السلام وهو شيخ الاَنبياء، عندما خاطبه الله تعالى وابتلاه بكلمات من عنده، فجعله إماماً للناس (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَـتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...)، كان أول شىء يطرحه على الله تعالى ويرجوه منه، عندما يحمّله الله تعالى هذه المسؤولية، هو أن تكون هذه الاِمامة فى ذريته ـ أيضاً ـ (...قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّـلِمِينَ) [۲۶] . وكذلك الحال فى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يقيمان دعائم البيت (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَـعِيلُ رَبَّنَا [صفحه ۴۹] تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)، هؤلاء فى البداية يطلبون القبول من الله تعالى لهذا العمل العظيم، ثم يدعوانه تعالى أن يكونا مع ذريتهما من المسلمين المهتدين المنيبين إليه المقبولين لديه، (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). ثم لا يكتفون بأن تكون هذه الذرية ذرية مسلمة مهتدية مقبولة، بل تترقى هذه الدعوة بأن يطلبوا أن تكون هذه الذرية ذرية تتحمل مسؤولية النبوة والرسالة ـ أيضاً ـ (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـتِكَ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـبَ وَالْحِكْمَـةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [۲۷] . ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفتخر ويقول: (أنا دعوة أبى إبراهيم عليه السلام) [۲۸] يعنى كان يرى نفسه فى تحمله لهذه الرسالة إن ذلك كان إستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام عندما كان يرفع القواعد فى البيت. [صفحه ۵۰]

الامامة فى الذرية سنة

النقطة الثانية: إننا نلاحظ فى دراستنا لتاريخ الاَنبياء والمرسلين، أن هذا التكريم قد تحول إلى سنّة من السنن الواضحة فى التاريخ الرسالى، وذلك عندما نرجع إلى القرآن الكريم ومفاهيمه وآياته وتصوره لحركة الرسالات الاِلهية والاَنبياء، ومن ذلك ما نقرأه فى قوله تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـهَآ إِبْرَهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَـتٍ مَّن نَشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ - وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَـنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَـرُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ - وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّـلِحِينَ - وَإِسْمَـعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَـلَمِينَ - وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـتِهِمْ وَإِخْوَنِهِمْ وَاجْتَبَيْنَـهُمْ وَهَدَيْنَـهُمْ إِلَى صِرَطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [۲۹] فعندها نجد أن القرآن الكريم يتحدث عن إبراهيم عليه السلام وكيف جعل الله تعالى فى ذريته النبوة، ويذكر مجموعة من أسماء الاَنبياء من ذريته بدون ترتيب زمانى، ثم يشير إلى أمرين يمكن أن نفهم منهما هذه السنة التاريخية: [صفحه ۵۱] أحدهما: الاِنتقال بالاِشارة إلى نوح عليه السلام (وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ) ليربط هذا التاريخ بما قبل إبراهيم عليه السلام. ثانيهما: تعميم النعمة على الآباء والذريات والاَخوان، مما يفهم منه القانون العام (وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـتِهِمْ وَإِخْوَنِهِمْ). وهكذا ما ورد فى سورة مريم، عندما تحدث القرآن الكريم عن مجموعة من الاَنبياء: إبراهيم وبعض ذريته وإدريس قبل إبراهيم ثم يختم الحديث بالقانون العام (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَهِيمَ وَإِسْرَئِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَـتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا) [۳۰] . والشىء نفسه ـ أيضاً ـ يذكره القرآن الكريم فى سورة الحديد،

ولكن على نحو الإشارة، وذلك عندما يتحدث عن نوح وإبراهيم عليهما السلام، حيث جعل فى ذريتهما النبوة، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَبَ فَمِنْهُم مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ) [۳۱] . [صفحه ۵۲] وموارد أخرى لا يسع المجال لتفصيلها. إذاً فهذه من السنن التى كانت تحكم مسيرة الرسالات الإلهية، فلا نرى غرابة فى أن هذه السنّة تجرى ـ أيضاً ـ فى هذه الرسالة الخاتمة، بل هى امتداد لسنّة إلهية، شاء الله أن يجعلها حاكمة على مسيرة الأنبياء والمرسلين منذ بداية الرسالات الإلهية وإلى نهايتها. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الإمامة بدأت من نوح عليه السلام ـ كما يذهب إلى ذلك العلامة الطباطبائى قدس سره وشهيدنا الصدر قدس سره ـ فقد نرى أن التأكيد فى القرآن الكريم على نوح وإبراهيم عليهما السلام، وجعل النبوة فى ذريتهما، إنما هو إشارة إلى قضية الإمامة واستمرارها فى ذرية هذين النبيّين، ولا سيما أن النبى صلى الله عليه وآله هو ـ أيضاً ـ من ذرية إبراهيم عليه السلام، حيث أنه ينتمى إلى إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ونبينا هو دعوة إبراهيم عليه السلام، وبذلك تصبح القضية مرتبطة تماماً بهذه السلسلة المباركة للأنبياء من ناحية، وهذه السنّة التى كتبها الله تعالى فى الرسالات الإلهية، وهى سنة التكريم والتشريف لهم، والنعمة الإلهية عليهم. النقطة الثالثة: التى يمكن أن يشار إليها بهذا الصدد وهى أن قضية التشخيص فى أهل البيت عليهم السلام، ليست مجرد عملية تكريم. [صفحه ۵۳]

حكمة الامامة فى الذرية

وتشريف وفضل ونعمة أنعم بها الله تعالى على أنبياءه، بل أن وراء ذلك أموراً أخرى، يمكن أن نلاحظها عندما نريد أن ندرس هذه الظاهرة؟ وهى أمور ذات أبعاد: غيبية، وتاريخية، ورسالية، وإنسانية. وهذه الأبعاد التى يمكن أن نلاحظها من خلال دراستنا للقرآن الكريم ومراجعتنا ومطالعتنا للرسالة الإسلامية قد تفسر النقطتين السابقتين، ببيان الحكمة فى هذا التكريم الإلهى وهذا الإتجاه الفطرى فى الإنسان الذى تحول إلى سنة فى مسيرة الأنبياء، والله سبحانه وتعالى أعلم.

البعد الغيبى

أما ما يتعلق بموضوع البعد الغيبى، فهنا نلاحظ أن الله تعالى خلق الإنسان بصورة وحقيقة ميزه فيها على بقية المخلوقات، وجاء التعبير عن ذلك بالنفخ فيه من روح الله، قال تعالى: (ثُمَّ سَوَّهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَرَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُون) [۳۲] فالإنسان ليس موجوداً مادياً متمحضاً فى الجانب المادى فقط، وإنما فيه عنصر غيبى، وهذا العنصر الغيبى امتياز، شاء [صفحه ۵۴] الله تعالى أن يتعامل معه ـ أيضاً ـ من خلال الغيب، بمعنى أن هناك الكثير من الأسرار فى حركة الإنسان وحركة التاريخ الإنسانى ترتبط بالغيب، ولم يشأ الله تعالى أن يكشف هذه الأسرار للإنسان فى هذا العالم، ولكن قد يكون لهذه الأسرار أثر فى تكامل حركة الإنسان فى حياته الدنيوية التى لها إرتباط ـ أيضاً ـ بالغيب فى هذا العالم المشهود، وكذلك التكامل فى حياته الأخروية، لأن الحياة المادية الدنيوية لهذا الإنسان هى حياة محدودة، والحياة الحقيقية ـ كما يعبر القرآن الكريم ـ إنما هى الحياة الآخرة، (وَمَا هذه الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الأَخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) [۳۳] وهى الحياة الممتدة الطويلة الأبدية الخالدة، وهذه الحياة الحقيقية هى حياة غيبية. فهناك الكثير من الأسرار ذات العلاقة بالإنسان، وحياة هذا الإنسان لم تكشف لهذا الإنسان، ولها تأثير فى حياته فى العالم الآخرة، بل ومن خلال حركة الإنسان ـ أيضاً ـ فى هذه الدنيا. وهذا الأمر لابد أن نؤكد عليه دائماً فى تفسير الكثير من الظواهر الإنسانية، فانه لا يمكن أن نفسر الظواهر الإنسانية بالتفسيرات المادية [صفحه ۵۵] فقط، لوجود الجانب الغيبى فى الإنسان، ومن ثم فلابد أن نفترض وجود جانب من التفسير يرتبط بهذا الغيب. وهذا الأمر ليس مجرد فرضية واحتمال عقلى، وإنما يمكن أن نجد له شواهد من القرآن الكريم ـ أيضاً ـ فقد أشار القران الكريم إلى هذا الجانب الغيبى فى الإنسان وحركته التكاملية ـ كما ذكرنا ـ ومن ثم فيمكن أن نفترض فى أهل البيت عليهم السلام ـ كما ورد فى النصوص والروايات عن النبى صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم

السلام ـ وجود أسرار غيبية ترتبط بجعل الإمامة بأهل البيت عليهم السلام،لها تأثير فى حركة الإنسان وتكامل هذه الحركة. أما الشواهد القرآنية التى تتحدث عن ارتباط الحركة التكاملية للإنسان بالغيب، فهو ما نلاحظه فى مجموعة من المؤشرات: الأول: ما ذكرناه من أن الله تعالى خصّ الإنسان من دون جميع الكائنات بهذا الوصف الخاص وهو أنه نفخ فيه من روحه. إذن، فهذا الإنسان موجود ومخلوق يختلف عن بقية الكائنات التى لم توصف بمثل هذا الوصف، وترتبط بالله تعالى هذا الربط فى جانب الخلقه. الثانى: ما يشير إليه القرآن الكريم فى مجال خلق الإنسان من أن الله تعالى عندما خلق الإنسان، أخذ عليه عهوداً ومواثيق فى عالم [صفحه ۵۶] الغيب، وليس فى عالم الشهود والعالم المادى، كما يبدو ذلك من القرآن الكريم، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىَ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىَ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَـمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غَـفِلِينَ) [۳۴] يعنى أن الله تعالى انتزع من ظهور هؤلاء الناس ذريات، ثم بعد ذلك أشهدهم على حقيقة من الحقائق الرئيسية فى الكون والحياة وهى (الربوبية). وهذه الشهادة، لا ندركها الآن كأفراد نعيش الحالة المادية، فلا ندرك ونتذكر هذا الجانب من الشهادة والعهد والميثاق الذى أخذه الله سبحانه وتعالى على بنى آدم فى ذرياتهم، وشهدوا واعترفوا بذلك، وأنه سوف يحاسبهم الله تعالى فى يوم القيامة ـ أيضاً ـ على هذه الشهادة، لئلا يقول الإنسان فى يوم القيامة إنى كنت غافلاً عن ذلك، فتكون الحجة لله. نحن الآن لاندرك ذلك بصورة مشهودة، فهو أمر غيبى فى خلق الإنسان، نعم قد ندرك بفطرتنا وبوجداننا هذه الحقيقة المعبرة عن هذا الجانب الغيبى وهذا الإعتراف بالحقيقة الإلهية، عندما تكون [صفحه ۵۷] الفطرة سليمة، ولكن هذا المشهد الذى يشير إليه القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة لا نحس به فى حالتنا المادية ـ وإن كنا ندرك الحقيقة فى وجداننا وفطرتنا، من خلال إيماننا بالله تعالى والإعتراف بالربوبيه له تعالى ـ وإنما هو مشهد غيبى يتحدث عنه القرآن الكريم فى أصل خلق الإنسان، ومن ثم فهناك عنصر غيبى يتحكم فى هذا الجانب. الثالث: والذى يمكن أن نستنبطه من القرآن الكريم ـ أيضا ـ هو حديث القرآن الكريم الواسع والكثير، الذى يمتد فى عدد كبير من الآيات والمناسبات والآفاق حول (الإصطفاء) و (الإجتباء) فى حركة التاريخ. القرآن الكريم فى آيات كثيرة ومنها قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَىَ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَهِيمَ وَءَالَ عِمْرَنَ عَلَى الْعَلَمِينَ - ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [۳۵] يتحدث عن ظاهرة الإصطفاء كظاهرة غيبية، وقضية من القضايا الإلهية الغيبية التى لا تخضع للتفسيرات المادية سارية ـ أيضاً ـ فى [صفحه ۵۸] حركة التاريخ، اصطفى الله تعالى آدم اصطفاءاً خاصاً، واصطفى نوحاً، ثم اصطفى إبراهيم وآل إبراهيم، ثم اصطفى عمران وآل عمران، وكذلك أكد القرآن الكريم أن هذا الإصطفاء ليس أمراً واقفاً على هذه الأسماء وهذه الجماعات، وإنما هى قضية ذات إمتداد فى الذرية، ذرية بعضها من بعض، يعنى حركة تاريخية تتحرك فى التاريخ الإنسانى، يمكن أن نسميها حركة الإصطفاء، وكذلك قد تكون حركة فى الأسرة أو فى الجماعة والأمة. إذن، فلماذا لا يمكن أن نفترض وجود هذه الحركة وهذا العامل الغيبى فى إصطفاء الله تعالى لآل محمد صلى الله عليه وآله، وهو ـ أيضاً ـ ما يشير إليه القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى: (...إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) [۳۶] ويتم تأكيد ذلك ـ أيضاً ـ فى آية المباهلة وغيرها. إذن، فيمكن أن يكون هذا سرّاً من الأسرار الإلهية الغيبية التى لها دلالات معروفة ـ كما سوف نشير إلى بعضها ـ ولكن لها ـ أيضاً ـ دلالات وآثار فى حركة التاريخ، وتكامل الإنسان الدنيوى لا نعرفها فى فهمناالمادى المحدود لحركة التاريخ، ويكون لها ـ أيضاً ـ أبعاد فى [صفحه ۵۹] مستقبل حياة الإنسان الأخروية.

البعد التاريخى

البعد الثانى: البعد التاريخى، وقد أشار الشهيد الصدر قدس سره ـ فى ما كتبه حول خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ـ إلى هذا البعد التاريخى، إذ يذكر إننا نلاحظ فى تاريخ الأنبياء والرسالات الإلهية أن الله تعالى اختار الأوصياء والقادة ـ كما يعبّر الشهيد الصدر قدس سره ـ من أولئك الأقربين للأنبياء من أقاربهم أو ذرياتهم، وهذا نص كلامه: (فى تاريخ العمل الربانى على الأرض نلاحظ أن الوصاية كانت تعطى غالباً لأشخاص يرتبطون بالرسول القائد إرتباطاً نسبياً أو لذريته [۳۷] . وهذه الظاهرة لم تتفق فى أوصياء النبى محمد

صلى الله عليه وآله فحسب، وإنما هى ظاهرة تاريخية اتفقت فى أوصياء عدد كبير من الرسل ويشير الشهيد الصدر قدس سره كشاهد على هذه الحقيقة إلى الآيات القرآنية، كقوله تعالى: [صفحه ۶۰] (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَبَ...) [۳۸] وكذلك قوله تعالى: فى الآيات السابقة ۳۸ ـ ۷۸ من سورة الأنعام. إذن، فهذه ظاهرة تاريخية، ومن ثم فقد طبقت ـ أيضاً ـ على رسالة النبى صلى الله عليه وآله، بأعتبار أن الرسالة الخاتمة وإن كانت هى رسالة كاملة وبكمالها تتميز على الرسالات السابقة، ولكن هذه الرسالة الخاتمة هى فى الحقيقة إمتداد لتلك الرسالات الإلهية، والنبى صلى الله عليه وآله جاء من أجل أن يصدِّق تلك الرسالات، ثم يهيمن عليها، وقد ورد فى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله ما يؤكد ذلك، وأن ما تشهده هذه الرسالة الخاتمة يتطابق تماماً مع ما شهدته الرسالات السابقة حتى جاء التعبير فى مقام التطبيق الكامل قوله صلى الله عليه وآله: (لتركبن سنّة من كانت قبلكم حذو النعل بالنعل...) [۳۹] . [صفحه ۶۱] إذن، فإذا كانت هذه الظاهرة هى ظاهرة تاريخية فى الرسالات الإلهية، وهو أن تكون الوصاية فى أقرباء النبى القائد، فلماذا تختلف الرسالة الإسلامية ـ بعد فرض ضرورة الإمامة واستمرارها ـ عن هذه الظاهرة التاريخية التى هى موجودة فى كل الرسالات الإلهية؟! ولكن هذه الظاهرة التاريخية تحتاج إلى تفسير تاريخى، ولعل ذلك ـ والله العالم ـ لأحد أمرين:

الجذر التاريخى و دوره

الأمر الأول: أن الوصى والإمام عندما يكون له هذا الجذر التاريخى والإرتباط النسبى بالرسالة، يكون إحساسه بالإنتماء إليها وشعوره بالمسؤولية تجاهها، متجذراً بدرجة عالية جداً، وذلك حينما يرى فى نفسه فرعاً من شجرة طيبة أصيلة، تمتد فى جذورها الرسالية عبر القرون فى التاريخ الرسالى والإنسانى، وتمده بالعزم والإرادة والصبر والصمود والقدرة على تحمل المحن والآلام والشدائد والإنتصارات والتقدم والبركة الإلهية التى شهدتها هذه الشجرة الطيبة فى تاريخها. ويؤكد هذا التفسير عدة مؤشرات، يمكن أن نلاحظها فى القرآن [صفحه ۶۲] الكريم: الأول: تأكيد القرآن الكريم على الجذر التاريخى للرسالة الإسلامية، مع أن الرسالة الإسلامية هى أفضل الرسالات الإلهية، وهى الرسالة المهيمنة عليها ـ كما ذكرنا ـ وهى الرسالة الخاتمة، ورسولها أفضل الأنبياء على الإطلاق، ومع ذلك كله كان القرآن الكريم يؤكد على هذا الجذر التاريخى والإنتماء للأنبياء السابقين، ولاسيما إبراهيم عليه السلام الذى ينسب إليه القرآن الكريم الإسلام فى مواضع عديدة، منها قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَلَمِينَ - وَوَصَّى بِهَا إِبْرَهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبَنِىَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ - أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهاً وَحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [۴۰] . بل أن إبراهيم عليه السلام هو الذى سمى الأمة الخاتمة بهذا الأسم منذ البداية، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: (وَجَهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ [صفحه ۶۳] أَبِيكُمْ إِبْرَهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُواْ الصَّلَوةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللهِ هُوَ مَوْلَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) [۴۱] . الثانى: ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [۴۲] فقد ذكرنا سابقاً أن وجود رسول الله كان بدعوة من إبراهيم عليه السلام، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفتخر بأنه كان دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام. الثالث: ذكْر القرآن الكريم لقصص الأنبياء وتأكيده أن أحد الأهداف لذلك هو تثبيت النبى، وطلب الصبر والثبات منه تأسياً بالأنبياء السابقين (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...) [۴۳] . [صفحه ۶۴] الأمر الثانى: أن سنة الله فى التاريخ تكامل الرسالات الإلهية تدريجياً، وهى تمر عبر الرسالات المتعددة التى يكمل بعضها بعضاً، كذلك الحال فى تكامل الرسل والأنبياء والمرسلين، فانها يمكن أن تكون ـ أيضاً والله العالم ـ سنة تمر عبر التكامل فى الجذر التاريخى للحركة الوراثية للنبى والاستمرار فى الذرية وأهل البيت. وهذه السنة هى سنة قائمة فى كثير من مظاهر الطبيعة مخلوقاته عزَّ

وجلّ، فالشجرة الطيبة القوية المثمرة هى الشجرة ضاربة الجذور فى الاَرض، بخلاف الشجرة الخبيثة. وكذلك الكلمة الطيبة التى هى كالشجرة الطيبة التى ضربها الله مثلاً لها، فأنها هى التى تكون لها أصول وجذور. قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمآءِ - تُؤْتِىَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الاَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)، وهذا بخلاف الكلمة الخبيثة، فهى كالشجرة الخبيثة، قال تعالى: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الاَرْضِ مَالَهَا مِن قَرَارٍ) [۴۴] . [صفحه ۶۵]

البعد الرسالى

البعد الثالث: البعد الرسالى، وما يترتب على ذلك من تحقيق مصالح الرسالة وإعداد الاَفراد لمهماتها ومسؤولياتها، وتحمل أعبائها الثقيلة. فقد عرفنا فى جواب السؤال الاَول أن عمر الرسول ـ عادة ـ يكون أقصر من عمر الرسالة وأعبائها ومهماتها، وهذا ما شاهدناه ـ أيضاً ـ فى الرسالة الاِسلامية، فقد كان عمر رسول الله صلى الله عليه وآله محدوداً بالنسبة إلى أعبائها ومهماتها، حيث توفى رسول الله بعد مضى ثلاث وعشرين سنة من البعثة الشريفة، وبالرغم من الجهود المضنية التى بذلها، والاِنجازات العظيمة التى حققها فى هذه المدة القصيرة، فقد بقيت أعباء الرسالة الاِسلامية العالمية قائمة وموجودة إلى حد كبير فى مجال التفهيم والتوضيح وفى مجال التطبيق والتنفيذ، حيث لم تتجاوز المساحة التى انتشر فيها الاِسلام الجزيرة العربية، من حيث الحركة والقدرة والسيطرة، وأن كان قد خاطب رسول الله بها الاَقوام المجاورين للجزيرة، أو دخل فى بعض المعارك العسكرية معهم. بل كانت بعض الجيوب والمناطق فى الجزيرة العربية نفسها لا [صفحه ۶۶] زالت غير مستكملة فى التفاعل مع الرسالة الاِسلامية، كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك فى الحديث عمن يطلق عليهم اسم الاَعراب، من اؤلئك الناس الذين كانوا يعيشون فى البوادى ولم يتعلموا الاِسلام أو يتخلقوا بأخلاقه. أو المؤلفة قلوبهم من ضعفاء الاِيمان والاِعتقاد من العرب الجاهليينالذين استسلموا للواقع السياسى والاجتماعى للهيمنة الاِسلامية والنصر الاِلهى، فأعلنوا دخولهم فى الاِسلام، وإن لم يبلغ الاِيمان قلوبهم. أو اؤلئك المنافقين الذين أظهروا الاِسلام، ولكن أضمروا الكفر والعصيان والتمرد، ويشير القرآن الكريم إلى هذه النماذج فى كثير من الموارد، ومنها فى سورة التوبة والحجرات والمنافقين. وأفضل شاهد على هذه الحقيقة السياسية والاجتماعية هو ما شاهده المسلمون من حركة الاِرتداد بعد وفاة رسول الله مباشرة فى بعض مناطق الجزيرة العربية، أو مواقف بعض الاَشخاص والجماعات السلبية من أهل بيته. وإذا كان الوضع الثقافى والسياسى فى الجزيرة العربية بهذه الصورة، فكيف الحال فى خارجها، ومع هذا الوضع لا يمكن أن [صفحه ۶۷] نفترض بأن مهمات الرسالة قد انتهت بنهاية عمر الرسول صلى الله عليه وآله، وإكمال عملية البلاغ العام. نعم يمكن أن نقول بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أنهى مهمة التبيين وإقامة الحجة ومهمة التأسيس وإقامة القواعد الاجتماعية ومهمة إيجاد الجماعة الاِنسانية التى يمكنها أن تتحمل هذه الاَعباء بصورة عامة. وعندئذٍ، فلابد من وجود الاِمامة، لتحمل هذه الاَعباء الثقيلة الاَخرى بعده ـ كما ذكرنا سابقاً ـ ولكن تحمل هذه الاَعباء الثقيلة يحتاج إلى إعداد كامل يتناسب مع طبيعة وحجم هذه الاَعباء الضخمة التى سوف يتحملها هؤلاء (الاَئمة) بعد النبى صلى الله عليه وآله. وهنا يمكن أن نقول بأن عملية الاِعداد هذه التى يراد إنجازها من أجل تحمل هذه الاَعباء، إنما يمكن أن تتم فى داخل البيت الرسالى بصورة أفضل وأكمل من إنجازها فى خارج البيت الرسالى. وهذا ما أشار إليه الشهيد الصدر قدس سره فى قوله: (فاختيار الوصى كان يتم عادة من بين الاَفراد الذين انحدروا من صاحب الرسالة ولم يروا النور إلا فى كنفه وفى إطار تربيته، وليس هذا من أجل القرابة بوصفها علاقة مادية تشكل أساساً للتوارث، بل من أجل القرابة بوصفها تشكل عادة الاِطار السليم لتربية الوصى وإعداده للقيام بدوره [صفحه ۶۸] الربانى. وأما إذا لم تحقق القرابة هذا الاِطار، فلا أثر لها فى حساب السماء قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِى قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّلِمِينَ) [۴۵] . فالذرية عادة تكون قابلة ومهيئة للاِعداد الرسالى بصورة أفضل فى حركة التاريخ الاِنسانى [۴۶] . [صفحه ۶۹]

الاعداد والواقع التاريخى

وهذه الفكرة إذا أردنا أن ننظر إليها من خلال الواقع التاريخى الذى عاشته الرسالة الإسلامية، نراها ـ أيضاً ـ فكرة متطابقة تماماً مع هذا الواقع التاريخى، حيث نرى أن الوصى الذى كان هو الإمام على عليه السلام قد احتضنه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو طفل صغير، حيث تذكر بعض النصوص أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد تكفله بالتربية قبل البعثة، من خلال التخفيف من مسؤوليات الإنفاق ـ أو المسؤوليات الاقتصادية إذا صح التعبير ـ عن أبى طالب. وبدأ الرسول صلى الله عليه وآله فى هذه المرحلة بتربية على عليه السلام، وبذلك ـ أيضاً ـ يجمع المسلمون ـ تقريباً ـ أن علياً عليه السلام كان أول من أسلم، وأنه لم يعرف فى حياته عبادة الأصنام أو عبادة غير الله سبحانه وتعالى، وهذا أمر يجمع عليه المسلمون، ولذلك عندما يذكر اسمه جمهور المسلمين، يخصونه بدعاء (كرّم الله وجهه)، وهم بذلك يشيرون إلى هذه الخصوصية لعلى عليه السلام، وهذه الخصوصية إنما كانت ـ أيضاً ـ [صفحه ۷۰] بحسب النظر إلى الظروف التاريخية ومن هذه الزاوية، بسبب إعداد رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام. طبعاً، العنصر الغيبى، فى الإصطفاء والإعداد ـ كما ذكرنا ـ قائم فى نفسه مع العناصر الأخرى، ولكن من هذه الزاوية وهذا الجانب نرى ـ أيضاً ـ هذه الحقيقة قائمة. مضافاً إلى ذلك، ما تشير إليه النصوص التاريخية وتؤكده روايات بعض الأشخاص ـ حتى ممن لم يكن يميل إلى على عليه السلام من الناحية الروحية والنفسية ـ من إعداد رسول الله صلى الله عليه وآله لعلىّ عليه السلام علمياً ومعنوياً، فيما كان يسارّه فى ليله ونهاره، لأن علياً عليه السلام كان قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله، بحيث كان يأخذ منه العلم والأخلاق فى كل مناسبة، بل فى كل وقت. والكلمة معروفة عن النبى صلى الله عليه وآله، وعن علىّ عليه السلام بهذا الشأن، أما عن النبى، فهى عندما قال: (أنا مدينة العلم وعلى بابها) [۴۷] وأما [صفحه ۷۱] عن علىّ عليه السلام، فهى عندما قال: (علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح لى من كل باب ألف باب) [۴۸] . هذه الحقيقة إذا أردنا أن ننظر إليها من الناحية التاريخية والمادية، نراها كانت قائمة من خلال هذا الإقتراب فى دائرة علىّ عليه السلام من النبى صلى الله عليه وآله، حيث تربى فى حضن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن عمه، تزوج من ابنته، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يدخل إلى بيت علىّ كما يدخل إلى بيته، وعلىّ يدخل على رسول الله كما يدخل إلى بيته. هذه العلاقة كانت موجودة بدرجة عالية، الأمر الذى أثار ـ أحياناً ـ غيرة بعض نساء النبى صلى الله عليه وآله أو حساسية، أو أى تعبير آخر يمكن أن نقوله أو نعبر عنه فى هذا المقام بصورة مناسبة [۴۹] . [صفحه ۷۲] إذن، فمن الناحية الواقعية والخارجية ـ أيضاً ـ نشاهد بأن التاريخ يؤكد على هذه العملية وهذه الفكرة والنظرية، وكان لها واقع خارجى فى الرسالة الإسلامية من خلال إعداد علىّ عليه السلام، وقد تحدث علىّ عليه السلام شخصياً فيما روى عنه ذلك، كما تحدث أئمة أهل البيت ـ أيضاً ـ عن ذلك، وهو ما سوف نشير إليه ـ إن شاء الله ـ فى بعض الأبحاث الآتية. [صفحه ۷۳]

الاعداد والنظام العام

ومن الطبيعى ـ أيضاً ـ أن نفترض، كما نفترض فى عقائدنا بأن هؤلاء الأئمة يمكن أن تتحقق لهم الإمامة دون هذا الإعداد، لإن الله تعالى قادر على كل شىء، ولا يمنعه شىء من إلهام الأشخاص والأفراد ـ لحكمة ـ بكل المعلومات دون ذلك الإعداد السابق، هذا الشىء يمكن أن نفترضه، وفيه الكثير من الواقع والحقيقة بالنسبة إلى الكثير من الأفراد الذين عرفهم التاريخ [۵۰] ولكن فى الوقت نفسه يمكن أن نفترض أن النظام العام فى الحركة الإجتماعية للإنسان يراد لها أن تسير فى الكثير من الموارد، حسب النظام العام، وليس من المفروض لها دائماً أن تكون خارجة عن النظام العام، إلا بقدر الحاجة إلى هذا الإستثناء، كما هو الحال فى موارد المعجزة مثلاً، وهذا يعنى أنه مادام الإعداد ممكناً حسب النظام العام، فسوف يتم كذلك ويكون الإستثناء عند الحاجة والضرورة، فيتم الإعداد من خلال نظام آخر وهو النظام الغيبى. إذن، فالطريق الطبيعى للإعداد الأفضل والتأهيل الأكمل إنما يكون فى دائرة البيت القريب،

ويمكن أن نرى هذا الشيء فى معالم أخرى من التاريخ، وفى مفردات وصور عديدة. وهذه الظاهرة نراها قد تجسدت ـ أيضاً ـ فى الاَسر العلمية الشريفة فى تاريخ جماعة أهل البيت عليهم السلام، حيث قامت بأعمال شريفة فى هذا التاريخ، وتحملت مسؤوليات كبيرة فى مختلف أدوار التاريخ. [صفحه ۷۴] فأننا عندما ننظر إلى تاريخ ما بعد الغيبة الصغرى، بل حتى فى تاريخ زمن أئمة أهل البيت عليهم السلام نلاحظ أن هناك ظاهرة كانت موجودة وقائمة فى جماعة أهل البيت، وهى ظاهرة وجود الاَسر العلمية، مثلاً أسرة زرارة بن أعين، هذه الاَسرة كانت تعّرف كأسرة بحيث كان جميع رجالها ثقات، أو أسرة بنى فضّال هذه الاَسرة كانت ـ أيضاً ـ تعّرف كأسرة، أو أسرة الاَشعريين الذين أقاموا اُسس العلم فى مدينة قم المقدسة، أمثال سعد الاَشعرى وأسرته، وهكذا نلاحظ أسرة بنى بابويه الذين كان لهم دور عظيم جداً كأسرة، حيث عندما نرجع إلى التاريخ نجد أن هؤلاء يمثلون عدداً كبيراً جداً من العلماء والفضلاء الذين كانوا يتحملون هذه المسؤوليات، وهكذا يتسلسل هذا الاَمر، ولا أريد الآن أن أطيل الحديث فى ذكر الشواهد، ولكن عندما يرجع الاِنسان إلى التاريخ، يجد أن هذا الاَمر كان من الاَمور الواضحة جداً فى جماعة أهل البيت عليهم السلام وفى علماء أهل البيت، بحيث كانت هناك أسر علمية تتوارث هذا العلم جيلاً بعد جيل حتى أوصلت هذا العلم إلى هذا العصر، وهذا التوارث إنما كان باعتبار هذه الخصوصية، وهى إن عملية الاِعداد والتربية التأهيل فى إطار البيت الواحد تكون أسهل [صفحه ۷۵] مما تكون هذه القضية فى خارج البيت الواحد [۵۱] .

البعد الاجتماعى

البعد الرابع: البعد الاجتماعى، وهو ما يترتب على الاِختصاص بأهل البيت من مصالح اجتماعية فى التأثير على حركة الاَمة وهدايتها وارتباطها بالرسالة الاِسلامية وصاحبها، حيث أن هذه الاِمامة التى تريد أن تقوم بهذه المسؤوليات الكبيرة أو الضخمة فى المجتمع الاِنسانى تحتاج إلى مؤهلات اجتماعية، كما تحتاج إلى المؤهلات الروحية والفكرية. كما أن الناس فى حركتهم الاجتماعية والروحية والنفسية يتأثرون بمثل هذا العامل الاِنسانى، وينظرون إلى الشرف والاِصالة فى [صفحه ۷۶] الاِنتماء وتكامل الاَسرة والعائلة والعشيرة والقبيلة نظرة معنوية وإنسانية واجتماعية خاصة. أما بالنسبة إلى حاجة الاِمامة إلى المؤهلات الاجتماعية، فهو من الاَمور التى يشار إليها فى أبحاث علم الكلام. من قبيل أن لا يكون فى النبى أو الاِمام نقص فى الاَعضاء مخلاً بوضعه الاجتماعى، أو أن لا يكون النبى أو الاِمام وضيعاً فى المجتمع الاِنسانى أو من عائلة وضيعة وغير شريفة، أو ممتهنا لحرفة ومهنة وضيعة، إلى غير ذلك من القضايا التى يشار إليها فى علم الكلام عند الحديث عن مواصفات الاَنبياء والاَئمة الذين يتحملون هذه المسؤولية. وأما بالنسبة إلى تفاعل الناس وتأثرهم بهذا العامل الاجتماعى، فهو أمر مشهود فى تاريخ الاَمم والمجتمعات الاِنسانية السابقة واللاحقة يتفاضلون فيه، ويفتخرون ويتأثرون به، لاَنه عامل إنسانى واقعى فى الحركة التاريخية وله تأثير إيجابى فى حركة الاَمم وبناء المجتمع، وإن لم يكن من العوامل المؤثرة فى تكامل الاِنسان كفرد عند الله تعالى، أو مما يدخل فى حسابه يوم القيامة، كما تشير إلى ذلك النصوص الدينية، ومنها قوله تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ [صفحه ۷۷] فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ) [۵۲] ولكنه على أى حال من العوامل المؤثرة فى حركة التاريخ الاِنسانى والعلاقات الاِنسانية [۵۳] .

خلفيات البعد الاجتماعى

ولعل مرجع هذا العامل إلى عدة قضايا، نفسية، واجتماعية، وفطرية. اما القضية النفسية، فهى تأثر الاِنسان روحياً بمعالم العز والشرف والكرامة والمنجزات العلمية والاجتماعية. وأما القضية الاجتماعية، فهى ـ ما أشرنا إليه فى البعد الثالث ـ من أن التأهيل والاِعداد فى بيوت الشرف والكرامة والعز والطهارة، يكون بصورة طبيعية لتحمل المسؤوليات، وإنها تنبت الشرف والكرامة والعز والطهارة بموجب السنة والقاعدة القرآنية (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ [صفحه ۷۸] يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لاَيَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا...) [۵۴] وهو أمر يدركه الناس

من خلال رؤيتهم للتاريخ وحركة النظام العام للمجتمع الإنسانى، وإن كان قد يشذ بعضهم عن هذه القاعدة. ولذا ورد التأكيد فى الإسلام، فى عدة موارد على هذا الإتجاه فى الزواج وفى المشورة، وفى المصاحبة والصداقة والمعاشرة. وأما الجانب الفطرى، فهو يرتبط بنظرة الإنسان الفطرية التى أكدتها الشريعة الإسلامية، وهى أن تكامل المجتمع الإنسانى بصورة عامة يقوم على تكامل الأسرة والعائلة والقبيلة. وهذا بحث اجتماعى مهم له مجال آخر، ولكن بنظرة إجمالية يمكن أن نقول: أن الإسلام يرى أهمية تكامل الأسرة وارتباطها وامتدادها التاريخى فى القبيلة والعشيرة، وإن ذلك هو الطريق الأفضل لتكامل المجتمع الإنسانى بصورة عامة، إذا أردنا تنظيم هذا المجتمع بصورة صحيحة ومحكمة وقوية. وإن هذا التنظيم القوى، يعتمد على عنصرين رئيسيين: العنصر الأول: هو إحكام علاقات الأسرة التى يفترض أن يتم إحكامها، كما حث الإسلام على ذلك من خلال الزواج والعلاقات [صفحه ۷۹] الزوجية القائمة على أساس الحقوق المتبادلة، وتهيئة ظروف الإستقرار والسكن والمودة والرحمة، وكذلك من خلال الإرتباط بين العشائر والقبائل والأسر المختلفة، ولذلك كان من الإتجاهات فى تكوين الأسرة أن يتزوج الإنسان من خارج دائرة الأقربين، لإيجاد حالة التكامل الاجتماعى العام بين المفردات الرئيسية فى المجتمع، وهى القبائل والأسر، وقد يكون فى ذلك ـ أيضاً ـ تكامل جسمى (فسيولوجى)، كما يذكره الأطباء، ولكن فيه ـ أيضاً ـ تكامل اجتماعى من الناحية الاجتماعية، لأن إيجاد الروابط بين القبائل والأسر يكسر الحواجز النفسية والاجتماعية الموجودة بين هذه القبائل والعشائر والأسر التى قد تكون معيقة لتكامل المجتمع وحركته عندما تصبح كبيرة وعالية، وتمنع من وحدة المجتمع وتخلق العصبية العشائرية أو الاجتماعية، وبذلك تصبح الأسرة والعشيرة أحد الأعمدة الأساسية والرئيسية فى البناء القوى للمجتمع فى نظرية الإسلام. العنصر الثانى: هو قضية بناء العشيرة والقبيلة نفسها، حيث يمكن أن يقال بأن هناك إتجاه فى الإسلام إلى تثبيت دعائم العلاقات الأسرية والقبلية والعشائرية، لا إلى تفكيكها وإضعافها، وذلك من خلال ما ورد فى التأكيد على صلة الأرحام، بدرجة تصل ـ أحياناً ـ إلى [صفحه ۸۰] مرحلة الإلزام فى الوجوب والحرمة، حسب اختلاف هذه الصلة ودرجتها، فان قطيعة الرحم حرام، ووجود أصل الصلة واجب من الواجبات الشرعية. وكذلك ـ من خلال ما يشير إليه القرآن الكريم ـ فى قضية التوارث، حيث أن التوارث فى المال وضع فى إطار علاقات الأرحام، لقوله تعالى: (...وأُولُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَبِ اللهِ...) [۵۵] وحتى وصل بها الإسلام إلى العلاقات البعيدة نسبياً، من قبيل علاقة الولاء، وهى عندما يدخل الإنسان فى ولاء أسرة من الأسر وتتقطع سلسلة الأقرباء من المواريث، فيتحول الميراث إلى الأولياء، أى إلى اؤلئك الذين يكونوا قد دخلوا فى العشيرة عن طريق علاقة الولاء، إذن، هذا يعّبر عن إتجاه لتحكيم هذه الأواصر وربط بعضها ببعض. وكذلك نلاحظ أن من التشريعات الموجودة فى النظرية الإسلامية التى تؤكد هذا الإتجاه، قضية وقف الذرية، فأن الوقف على أقسام ـ كما يعرف الأخوة الأعزاء والأفاضل الدارسين للفقه ـ وأحد أقسام الوقف هو الوقف الذى يوضع لخصوص الذرية، أى يتسلسل فى [صفحه ۸۱] الورثة، ويتحول فى طبقات الورثة، حسب شرط الواقف، أو يشركهم فيه، بكل طبقاتهم ومراتبهم، فان هذا الحكم يؤشر على أن الإسلام يتجه إلى تحكيم أواصر العشيرة والأسرة الواحدة.

الاسلام والعلاقات العشائرية

وكذلك المفاهيم الواسعة التى طرحها القرآن الكريم فى تفسير المفردات الاجتماعية وطبيعة علاقاتها، من تقسيم الإنسان إلى شعوب وقبائل قال تعالى: (يَـأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَـكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَـكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [۵۶] فأن الناس وإن كانوا قد خلقوا من ذكر وأنثى، ولكنهم قد قسموا إلى شعوب وقبائل، لتقوم علاقات التعارف والتعاون بينهم، فهو تقسيم معترف به إسلامياً. وهكذا عندما يتحدث القرآن الكريم عن موضوع (الولاء)، حيث يشير ـ أيضاً ـ إلى أن قضية الولاء فى داخل العشيرة أمر طبيعى مثل ولاء الآباء والأبناء والإخوان، فهو ولاء مقبول، ولكنه يجب أن يكون فى إطار ولاء الله تعالى، ولا ـ يصح أن يخرج عن حالة الولاء لله تعالى، [صفحه ۸۲] أو أن يكون فى مقابل الولاء لله تعالى، وأعطى القرآن الكريم عناوين

عديدة لذلك فى التأكيد على هذا النوع من الولاء فى آيات عديدة (...وأُولُواْ الاَرْحَام بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَبِ اللهِ...) [۵۷] ، وكذلك التأكيد عليه فى مجال الاِنفاق على ذوى القربى ـ كالتأكيد على الاِنفاق على المساكين والمحتاجين ـ كمورد من موارد الاِنفاق. وفى الجملة نلاحظ فى الكثير من معالم الشريعة الاِسلامية وجود هذا الاِتجاه فى تحكيم أواصر العشيرة والاَسرة والقبيلة، لا على تفكيكهاوإضعافها. وهذا التحكيم ـ كما ذكرت ـ إنما يكون صحيحاً فى إطار الشىء الاَعظم والاَهم من العلاقة، وهو حب الله سبحانه وتعالى، والولاء لله تعالى والاِرتباط به ولا يكون خارجاً على ذلك، وفى داخل هذا الاِطار العام، كما أكد عليه قوله تعالى: (قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَنُكُمْ وَأَزْوَجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى [صفحه ۸۳] يَأْتِىَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَيَهْدِى الْقَوْمَ الْفَسِقِينَ) [۵۸] . وبهذا نرى أن الاِسلام عندما أراد بناء المجتمع، وضع أحد الاَسس التى تحكم هذا البناء الاجتماعى وتجعله أكثر ترابطاً هو إحكام هذه العلاقات الاَسرية بين هؤلاء الناس، وحاول فى الوقت نفسه أن يعالج خطر تحول العشيرة إلى صنم يعبد من دون الله بإسلوبين: أحدهما: تأكيد أن يكون هذا الولاء ضمن إطار الولاء لله تعالى. والآخر: هو كسر الحواجز الاجتماعية والنفسية التى قد تنمو بين الشعوب والقبائل من خلال الحث على التعارف بينها والزواج والاِتصال والمساواة فى القيمة الاِنسانية. وهذا الاَمر فى الواقع يمكن أن يذكر كأحد العناصر المهمة فى تفسير هذه الظاهرة الاجتماعية، ولذلك نرى المجتمع ينظر إلى ابن الاَسرة وإلى ابن البيت الذى يكون قريباً من صاحب البيت ينظر له ويتفاعل معه، نظرة تختلف عن نظرته إلى الاَجنبى عن ذلك البيت، وهذه الحقيقة من الحقائق القائمة اجتماعياً. ولذلك نحن ننظر إلى الزهراء عليها السلام فى قربها لرسول الله صلى الله عليه وآله من خلال [صفحه ۸۴] أمور كثيرة، ولكن أحد هذه الاَمور التى ننظر فيها الى الزهراء عليها السلام هى هذا القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله [۵۹] . إذن، فهذا الاِنتماء يعطى الوصى والخليفة والاِمام موقعاً (اجتماعياً) متميزاً فى الحركة الاجتماعية، ولعل ذلك أحد العوامل والاَسباب فى هذا الاِمتداد. [صفحه ۸۷]

الائمة الاثنا عشر

اشاره

وهنا قد يثار سؤال ثالث يرتبط بهذا الموضوع، وهو أنه إذا كان استمرار الاِمامة فى أهل البيت عليهم السلام ضرورياً، فماذا عن تعين عدد الاَئمة الهداة فى الاِثنى عشر إماماً فقط، دون أن يكون باب الاِمامة مفتوحاً فى أهل البيت بصورة عامة، كما يذهب إلى ذلك بعض فرق الشيعة، كالاِسماعيلية والزيدية، فما هو تفسير هذه الظاهرة التى يتبناها خصوص الاِمامية الاِثنى عشرية، حيث أنهم يتبنون ضرورة استمرار النبوة فى الاِمامة، كما يتبنون استمرار ضرورة أن تكون هذه الاِمامة فى خصوص أهل البيت، ويتبنون فى الوقت نفسه أن تكون الاِمامة فى أثنى عشر دون التوسع فى أعداد الاَئمة؟ وعندما أتحدث عن الاِمامة ـ طبعاً ـ أتحدث عن الاِمامة المعصومة التى تكون فى هذا العدد الخاص، فما هو تفسير هذه الظاهرة؟ وفى هذا الموضوع يوجد جانبان من البحث: [صفحه ۸۸]

ادلة العدد المحدود

الجانب الاَول: جانب يرتبط بعلم الكلام، وهوجانب مهم جداً، يذكر فى هذا المجال مجموعة من الاَدلة والقرائن التى تؤكد هذه الحقيقة، وسوف نتناول ـ إن شاء الله فى القسم الثانى من البحث ـ هذه الاَدلة والقرائن، ولكن أشير إلى بعض عناوينها: أولاً: هناك نصوص عديدة يجمع عليها المسلمون وردت عن النبى صلى الله عليه وآله، تؤكد أن الخلفاء بعد رسول الله هم هذا العدد، أى أثنى عشر خليفة [۶۰] ، وهذه النصوص يمكن أن يستدل بها على ثبوت هذه الحقيقة. ثانيا: أن هناك نصوص أخرى ـ أيضاً ـ وردت عن أهل البيت عليهم السلام تؤكد هذه الحقيقة [۶۱] (وأهل البيت أدرى بما فيه)، أى أن علياً عليه السلام لا يشك أحد من المسلمين فى

صدقه ومعرفته، وهكذا بالنسبة إلى فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، لا ـ يشك أحد من المسلمين فى صدقهم وعلمهم ومعرفتهم، فعندما ترد النصوص عن أئمة أهل [صفحه ۸۹] البيت عليهم السلام تجدهم موضع الإحترام والتصديق المطلق من قبل المسلمين، وهى تؤكد ـ أيضاً ـ هذه الحقيقة، وهذا يمكن ـ أيضاً ـ أن يشكل قرينة ودليلاً وبرهاناً على صحتها. ثالثاً: يؤكد ذلك ـ أيضاً ـ شخصية أئمة أهل البيت عليهم السلام التى تتميز هذه الشخصية بمواصفات لا ـ نعرف لها نظيراً فى التاريخ الإسلامى، فى خصائصها ومواصفاتها، والحديث فى هذا الموضوع ـ كما قلت ـ له مجاله الخاص، وسوف نشير إلى هذه الخصائص والمواصفات، بحيث يتبين بصورة واضحة أن هؤلاء الأئمة الاثنى عشر يتصفون بمواصفات وخصائص لا يشبههم فيها أحد من الناس. رابعاً: أن دراسة الجماعة الصالحة ـ التى ألتزمت بهذه العقيدة وآمنت بها ـ فى خصائصها ومواصفاتها وطبيعة حركتها ونموها وتطورها المستمر فى خطها البيانى يؤكد ـ أيضاً ـ هذه الحقيقة، وهذا بحث يحتاج إلى شرح وتوضيح، يأتى فى محله ـ كماقلنا ـ إن شاء الله. وهذه الأمور الأربعة نؤجل البحث فيها إلى وقت آخر. [صفحه ۹۰]

تفسير العدد المحدود

ولكن يبقى عندنا الجانب الآخر، وهو ما نريد أن نبحثه فى عرض النظرية وهو تفسير هذه الظاهرة مع قطع النظر عن هذه الأدلة، ما هو تفسير أن يكون العدد محدوداً بهذه الصورة، مع أن الرسالة الإسلامية رسالة خاتمة، والأمة الإسلامية أمة باقية حتى تقوم الساعة؟ ولماذا توضع الإمامة محصورة بعدد معيّن من الناس، ويكون هذا العدد هو أثنى عشر؟ هذه القضية تحتاج إلى تفسير كبقية الظواهر الكونية والاجتماعية، بما ينسجم مع نظام الحكمة الإلهية، ومع قطع النظر عن الأدلة السابقة المشار إليها التى نستدل بها فى علم الكلام، من أجل تصديق هذه الظاهرة، وبيان نسبتها إلى الإسلام وإلى الرسالة الإسلامية. فى تفسير هذه الظاهرة يمكن أن نشير إلى أمرين رئيسيين:

التفسير الغيبى للظاهرة

الأمر الأول: هو الأمر الغيبى، فقد ذكرنا فى حديثنا عن النظرية وهنا ـ أيضاً ـ نذكر ذلك، وسوف نبقى نؤكد هذا الموضوع أن الرسالة الإسلامية وكل الرسالات الإلهية هى ظواهر غيبية، مرتبطة بعالم [صفحه ۹۱] الغيب، وحياة الإنسان الذى أرسلت إليه هذه الرسالات ـ أيضاً ـ فيها جانب غيبى، لأن الله تعالى وإن كان قد خلق الإنسان من طين لازب، ومن ثم ففيه هذا العنصر المادى، فهو لحم وعظم ودم، وغير ذلك مما يتمثل فيه الجانب المادى فى الإنسان، ولكن الله تعالى قد خص الإنسان بخصوصية دون غيره من المخلوقات المنظورة، وهو أنه نفخ فيه من روحه، وهذه الخصوصية لا نراها فى أى موجود آخر يتحدث عنه القرآن الكريم، وقد تكون موجوده فى مخلوقات عالم الغيب التى لا نعرفها، وهى خارج النظام الكونى المشهود. كما أن حياة الإنسان ليست مختصة بهذه الحياة المادية وهى الحياة الدنيا، وإنما الحياة الحقيقة لهذا الإنسان الدائمة الأبدية المستمرة هى الحياة الآخرة وهى حياة غيبية. ثم أن هذه الحياة الدنيوية فيها جانب غيبى فى مستقبل زمانها وتاريخها، وهو ما تشير إليه بعض الآيات والروايات العديدة عن أهل البيت، من (الرجعة) التى قد تمثل دورة ومرحلة جديدة للحياة الإنسانية، تعبر عن الكمال فيها [۶۲] . [صفحه ۹۲] إذن، فالرسالة رسالة غيبية، والإنسان نفسه فيه جانب غيبى، وحياة الإنسان ـ أيضاً ـ فيها جانب أعظم وأهم وهو الجانب الغيبى، فعنصر الغيب لابد أن ننظر إليه دائماً عندما نريد أن نفسر الظواهر ذات العلاقة بالإنسان وحركته، ولا يمكن أن نفسر الظواهر ذات العلاقة بحركة الإنسان بالتفسيرات المادية المحضة، أو المدركة والمشهودة وحدها، وإنما يمكن أن يكون وراء الكثير من الظواهر القائمة فى حياة الإنسان أسباب وعناصر غيبية، لا يمكن للإنسان أن يعرف كل أبعادها وكل خصوصياتها. وفى هذه الظاهرة يمكن أن نفترض وجود العنصر الغيبى ـ أيضاً ـ لأن الله سبحانه وتعالى يصطفى من عباده من يشاء وله فى أولياءه أحكام خاصة، ذات علاقة بهؤلاء الأنبياء، وقد أشار القرآن الكريم

إلى ذلك فى عدة آيات. كما أن هذا الأمر ليس أمراً غريباً فى تاريخ الرسالات الإلهية، فمثلاً [صفحه ۹۳] نلاحظ أن الأنبياء أُولى العزم كانوا خمسة، وقد يطرح هذا السؤال: لماذا لم يكونوا ستة أو سبعة أو عشرة، أى لماذا كان إختصاص النبوة بهذه الدرجة العالية خاصة بهذا العدد من الأنبياء المعيّن، فنحن نعرف من خلال حركة النبوات أن الأنبياء أُولى العزم الذين أشار إليهم القرآن الكريم هم خمسة (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله)، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّين مِيثَقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَقًا غَلِيظًا) [۶۳] ونرى أن هذه ظاهرة فى النبوات أشار إليها القرآن الكريم، قد لا نعرف لها تفسيراً محدداً إلا التفسير الغيبى فى رؤية حركة التاريخ الرسالى. وهكذا نلاحظ ذلك فى الكثير من الظواهر التى نراها فى الإسلام من قبيل اختصاص العبادات بهذه العبادات الخاصة، ولم تكن هناك عبادات أخرى، واختصاص الصلوات اليومية الواجبة بالصلوات الخمسة، واختصاص هذه الصلوات الخمسة بالركعات السبعة عشر، إلى غير ذلك مما نراه من اختصاصات فى الأعداد، الذى يمكن أن يكون له تأثير فى حياة الإنسان الدنيوية والأخروية، ولكنه تأثير فى [صفحه ۹۴] الغيب غير المنظور والمعروف لنا بصورة كاملة، كما أن ظاهرة وجود الأعداد المعّينة الخاصة فى الإصطفاء ليست ظاهرة مختصة بهذه القضية وفى هذه الأمة حتى يقال أن هذه ظاهرة غريبة، وإنما توجد ظواهر أخرى مماثلة لها فى الأمم السابقة. ومن هذه الظواهر التى تقرب هذا المعنى، ظاهرة النقباء الإثنى عشر فى بنى إسرائيل، والذين يشير إليهم القرآن الكريم فى عدة مواضع، منها قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَقَ بَنِىَ إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّاَتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ) [۶۴] . وقضية النقباء الإثنى عشر ـ أيضاً ـ هذه قد تكون المثال لما يجرى فى الأمة الإسلامية الخاتمة، حيث أشرت فى حديث سابق ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من تطابق الأحداث فى الأمة الإسلامية بما يجرى فى الأمم السابقة حذو النعل بالنعل، كما جاء فى تعبير بعض [صفحه ۹۵] النصوص أو القذة بالقذة كما جاء فى بعض آخر منها، وهى نصوص متواترة يرويها جميع المسلمين بهذا المضمون. وقد تكون ظاهرة الإثنى عشر إمام متطابقة مع تلك الظاهرة التى شهدتها أمة بنى إسرائيل التى هى ـ أيضاً ـ من الأمم المصطفاة والمنتخبة والتى فضّلها الله سبحانه وتعالى فى بعض أدوار التاريخ، وجعل منهم أنبياءً وملوكاً، وخصهم ـ أيضاً ـ بهذه الظاهرة الأثنى عشرية ـ إذا صح التعبير ـ فى خصوصية بنى إسرائيل، وهى نكتة أخرى يمكن أن تؤكد الجانب الغيبى، أو تضيف إليه بعداً آخر. وكذلك يؤكد هذه الظاهرة فى بعدها الغيبى، ما ورد فى شأن انتخاب رسول الله صلى الله عليه وآله للنقباء الإثنى عشر من الأنصار فى بيعة العقبة، من قوله صلى الله عليه وآله ـ على ما رواه ابن إسحاق وابن سعد ـ: (اخرجوا إلىّ إثنى عشر منكم، يكونوا كُفلاء على قومهم كما كفلت الحواريون بعيسى بن مريم ولا يجدن أحدكم فى نفسه أن يؤخذ غيره فانما يختار لى جبريل) [۶۵] . وبذلك يشير هذا الحديث إلى خصوصيتين: إحداها: ذات علاقة بالعدد المذكور من تاريخ الأنبياء، وهو عدد [صفحه ۹۶] الحواريين الإثنى عشر، الذى يؤكد ـ أيضاً ـ هذه الظاهرة، وقد ورد تأكيد هذا العدد فيهم فى روايات أخرى. ثانيها: أن هذا الاختيارهو اختيار غيبى، يرتبط بقرار إلهى يبلغه جبرائيل عليه السلام. إذن، فهذا الجانب الغيبى يمكن أن يكون تفسيراً لهذه الظاهرة.

التفسير التاريخى للظاهرة

الأمر الثانى: الذى يمكن أن نذكره بهذا الصدد فى تفسير هذه الظاهرة، هو أمر له بعد مادى، بُعد فى فهم حركة التاريخ، وتفسير هذه الحركة، وذلك بأن نفترض بأن المدة (الاعتيادية) لهؤلاء الأئمة الأثنى عشر الذين تحدث عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله (الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام) هى بين (۳۵۰ ـ ۴۰۰) سنة، إذا كانت أعمارهم أعمار اعتيادية بالنسبة إلى الظروف التى كان يعيشها الناس فى الآباء والأبناء. وإذا كان الأمر كذلك، فيمكن أن نقول أن هذه المدة تمثل الدورة الزمنية التى يمكن أن يتم فيها إعداد الأمة الخاتمة إعداداً كاملاً فى جميع أبعادها، بحيث تصبح أمة مؤهلة لإستلام الخلافة الإلهية كأمة [صفحه ۹۷] وجماعة،

وذلك عندما تصبح أمة متكاملة اجتماعية بدرجة يكون التكامل فيها كصفة ثابتة، وتنتقل بذلك ـ حينئذٍ ـ إدارة الحياة الاجتماعية من الاَشخاص المنتجبين الاَصفياء الذين كانوا ينتخبون لها كأنبياء وأئمة للقيام بدور الخلافة والحكم إلى الاَمة الجماعة، أى عندما تبلغ الاَمة مرحلة دور الوحدة الاِنسانية الكاملة فى تطبيق الرسالة الاِلهية، ودور تجسيد إرادة المستخلِف الذى هو الله الذى يؤهلها لهذه الخلافة الاِلهية، بعد أن كانت البشرية قد مرت بأدوار الوحدة الفطرية والاِختلاف فى العبادة والاِختلاف فى الرسالة، ويبقى دور الاِمامة فيها ـ عندئذٍ ـ دور المحافظة على هذا التكامل والشهادة والرقابة على مسيرة الاُمة وإقامة الحجة على الناس، وكذلك المحافظة على العلاقة والرابطة بين السماء والاَرض فى حفظ النظام والحياة..إلى غير ذلك من الخصوصيات الاَخرى التى أشارت إليها النصوص الشريفة [۶۶] . [صفحه ۹۸]

منهج البحث التاريخى للاعداد

وهذا الموضوع وهو الدورة الزمنية لاِعداد الاَمة، وإن كان يحتاج إلى بحث تاريخى واجتماعى واسع له مجال آخر، ولكن أشير هنا إلى بعض أبعاده وخطوطه النظرية والمنهجية كمحاولة لتفسير هذه الظاهرة الرسالية. الاَول: بحث نظرية الاَدوار التى مرت بها البشرية فى الوحدة والاِختلاف وعوامل الوحدة والاِختلاف فيها، ومنهج الرسالات الاِلهية فى معالجة هذه الاَدوار، وتوضيح الهدف الرئيس لها وهو إقامة الوحدة البشرية على أساس الرسالة الاِلهية ودعائم الحق والعدل المطلق. وهذا الهدف هو ما أكدته الرسالات الاِلهية والقرآن الكريم وبشر به جميع الاَنبياء، ومنهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله، وذلك فى الاَخبار عن قيام المهدى عليه السلام من أهل البيت الذى يحقق هذا الهدف، فيملاَ الاَرض [صفحه ۱۰۰] قسطاً وعدلاً، وهو ما تفرضه ـ أيضاً ـ طبيعة الرسالة الخاتمة الاِسلامية، التى لابد أن تحقق فى إطارها الخاص ومرحلتها الخاصة هذا الهدف الاِنسانى الاِلهى الكبير، مع ملاحظة أن هذا الهدف لم يتحقق ـ كما أشرنا سابقاً ـ فى زمن صاحب الرسالة وهو النبى الاَعظم صلى الله عليه وآله [۶۷] .

الاهداف الرسالية الثلاث

الثانى: أن تحقيق هذا الهدف الكبير فى حركة الرسالة الاِسلامية، يحتاج إلى تحقيق ثلاثة أمور: الاَمر الاَول: إبلاغ هذه الرسالة للناس لهدايتهم بصورة طبيعية، بحيث تقام الحجة فى عملية الاِبلاغ على الناس، وتتحرك عملية الاِبلاغ لتصل إلى البشرية كلها ولو بصورة تدريجية، ولعل هذا هو ما يعبر عنه الاِسلام بقضية الظهور على الدين كله (هُوَ الَّذِىَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ [صفحه ۱۰۱] الْمُشْرِكُونَ) [۶۸] . والاَمر الثانى: هو فرض القدرة والسلطة والهيمنة الاِسلامية على البشرية كلها تدريجياً، من خلال حركة القوة والقدرة لاِقامة الحق والعدل التى تواكب حركة الهداية والاِرشاد وإقامة الحجة على الناس، لاَن فرض القدرة بالسلطة لابد أن يكون بعد إقامة الحجة على الناس وإبلاغ الرسالة لهم، وهو أمر آخر مطلوب فى الحركة الرسالية، كما حدث ذلك بالنسبة إلى الرسالة الاِسلامية فى زمن النبى، حيث أن النبى صلى الله عليه وآله قام بأقامة الحجة على الناس أولاً، ثم بعد ذلك قام بالتحرك السياسى والعسكرى من أجل فرض هيمنة الحكم الاِسلامى وإقامة الحق والعدل بين الناس، وعندها تحققت الهيمنة للاِسلام على الجزيرة العربية بصورة عامة فى زمانه، وإن لم تكن هذه الهيمنة ـ أيضاً كما أشرنا سابقاً ـ هيمنة كاملة، ولكنها كانت هيمنة عامة للاِسلام على الجزيرة العربية فى هذه المدة المحدودة، ولعل هذه الهيمنة السياسية العامة هى المقصودة بقوله تعالى ويكون الدين كله لله ـ والله العالم ـ قال تعالى: (وَقَـتِلُوهُمْ حَتَّى لاَتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [۶۹] . [صفحه ۱۰۲] الاَمر الثالث: المطلوب إنجازه فى الرسالة الخاتمة هو تطبيق الحق العدل على الناس تطبيقاً كاملاً على مستوى الفرد والجماعة معاً، حيث يمكن أن نفترض بأن الحجة تقام على الناس وتفرض الهيمنة العامة بعد ذلك للمؤسسة السياسية التى نعبر عنها بالدولة أو الحكومة على الناس، ولكن لا يتحقق التطبيق الكامل للشريعة الاِسلامية على جميع هؤلاء الناس، كما كان ذلك الاَمر فى

زمن رسول الله صلى الله عليه وآله فى حدود الجزيرة العربية، فأن رسول الله صلى الله عليه وآله تمكن من فرض الهيمنة الإسلامية كدولة وقوة يخضع لها الناس فى حدود الجزيرة العربية، بعد أن أقام الحجة عليهم، ولكن الكثير من هؤلاء الناس كان يرتكب الآثام ـ أيضاً ـ ويحرف قوانين الحق والعدل التى شرعها الإسلام، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك عند الإشارة إلى حركة المنافقين، وإلى مجتمع الأعراب ومخالفات بعض المسلمين من المؤلفة قلوبهم، أو ضعفاء الإيمان، أو ضعفاء الإرادة والإلتزام، حيث كان ترتكب مثل هذه القضايا حتى فى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلن ـ أحياناً ـ إنكاره وبراءته مما كان يرتكب فى زمانه من هذه المخالفات، إذ لم يطبّق الحق تطبيقاً كاملاً على جميع هؤلاء الناس حتى فى حدود الجزيرة العربية. وهذا التطبيق الكامل هو الذى نعبر عنه فى ثقافتنا وثقافة [صفحه ۱۰۳] المسلمين بصورة عامة بقيام دولة الحق فى زمان يخرج فيه الإمام المهدى عليه السلام فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ويؤكد ذلك فكرة (الرجعة) التى أشرنا إليها سابقاً، حيث يفهم من بعض النصوص أنه عندما تكتمل الدورة الإنسانية لإعداد الجماعة البشرية، ويتحقق هذا الهدف العظيم الذى جاءت به الرسالات الإلهية، تبدأ البشرية بدورة جديدة يتجسد فيها حضور الأنبياء والأوصياء والأولياء والأئمة كلهم، ليمارسوا دورهم الطبيعى فى الحياة الإنسانية بصورة كاملة، وفى مجتمع إنسانى متكامل، ويشهد فيه الكافرون والمنافقون النصر الإلهى الذى حققه الله تعالى لأنبيائه وأوليائه، قال تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَـدُ) [۷۰] .

دراسة حركة الرسالة

اشاره

الثالث: القيام بدراسة تاريخية لحركة الرسالة الإسلامية، منذ زمن النبى صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين والخلافة الأموية والعباسية وحتى نهاية هذه المدة المفترضة (۳۵۰ ـ ۴۰۰) عاماً، ومتابعة (المؤشرات) [صفحه ۱۰۴] الإيجابية والسلبية فى هذه المدة التاريخية ذات العلاقة بهذا الهدف الربانى، وهو تطبيق الحق والعدل بصورة كاملة، بحيث تصبح الأمة رشيدة فى هذا التطبيق ومؤهلة لهذه الخلافة الإلهية، حيث يتبين من هذه الدراسة أن هذه المدة المفترضة كانت كافية للوصول بالأمة إلى هذه الدرجة العالية من الرشد والإعداد والتهيؤ لتحمل هذه المسؤولية العظمى، لو كانت الأمور جرت على ما أمر الله به، من استلام الأئمة الأثنى عشر للإمامة خارجياً بكل أبعادها، ومنها الحكم الإسلامى والمرجعية الفكرية والدينية الكاملة للمسلمين، واستثمار فرص الهداية والبلاغ الإلهى. ونشير ـ هنا ـ إلى نماذج من هذه المؤشرات التى يمكن متابعتها فى هذه الدراسة التاريخية:

موازنة حركة الهداية والسلطة

المؤشر الأول: مدة الثلاث والعشرين عاماً التى قضاها رسول الله صلى الله عليه وآله فى إبلاغ الرسالة الإسلامية والتى تمكن فيها من فرض الهيمنة الإسلامية على الجزيرة العربية، ومسيرة الدعوة الإسلامية فيها والإنجازات التى حققها النبى صلى الله عليه وآله فى هذه المدة الزمنية على [صفحه ۱۰۵] المستويات الثلاثة، إقامة الحجة، وفرض السلطة، وإقامة الحق والعدل، مقاسة بالعالم. ويلاحظ فى هذا المؤشر بصورة دقيقة مجموعة خصوصيات: الأولى: إن قيادة الحكم كانت قيادة معصومة بكل أبعادها، وهى فى الوقت نفسه كانت قيادة مؤسسة تحملت آلام محنة وبلاغ الرسالة فى بدايتها وقدسية الرسول والرسالة عند انتصار الرسالة. الثانية: السرعة الفائقة التى تمكن أن يحقق فيها رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الإنجازات الفريدة على المستويات الثلاثة السابقة: ومن هذه الإنجازات: تأسيس مشروع الأمة الواحدة المتعددة الأطراف والخصوصيات، من جماعات متفرقة ومتناحرة ومختلفة دينياً وثقافياً، والتى حولها إلى أمة واحدة تتمتع بمعنويات عالية، تمكنت من إدامة الزخم الرسالى، وتحمل الكثير من أعباء حمل الرسالة والجهاد من أجل فرض

سيطرتها. ومنها: تأسيس الدولة الإسلامية، المشروع التطبيقى الفريد فى تاريخ الرسالات الإلهية، كما أشرنا إليه فيحديث سابق [۷۱] . ومنها: فرض الهيمنة على الجزيرة العربية كلها، والدخول فى [صفحه ۱۰۶] فتح أبواب الهيمنة على المناطق المجاورة لإخضاعها. ومنها: إقامة الحجة على الأمم المجاورة من خلال مخاطبته لها بالإسلام، بصورة أولية من خلال الرسائل والمبعوثين. ومنها: إبلاغ الرسالة وإكمال بيانها للناس، من خلال تلاوة القرآن الكريم وحفظه وبيانات السنة النبوية العامة والخاصة، وإلى غير ذلك من الإنجازات. الثالثة: المقارنة الدقيقة فى البحث والإستنتاج وموازنة تحقيق الأهداف بين حركة الهداية وإقامة الحجة على الناس، وفرض الهيمنة السياسية على الجماعة، حيث نلاحظ: أولاً: إن رسول الله كان يبذل فى البداية كل الجهود من أجل الهداية بدون استخدام القوة، وكان يقدم التضحيات الغالية من أجل ذلك، ثم يبدأ بعملية استخدام القوة كعامل لإزالة الحواجز أمام حركة الهداية. ثانياً: إن الهداية، وإن كانت تحتاج إلى تضحيات وتواجه صعوبات وفترة زمنية كبيرة نسبياً، ولكنها كانت فى الوقت نفسه تمثل أحد العوامل المهمة فى إيجاد تسهيلات أمام حركة فرض السيطرة السياسية، وتسليم الناس للإسلام وقبول الرسالة الإسلامية. ولذلك كانت الفترة المكية لحركة الرسول أطول زماناً من الفترة [صفحه ۱۰۷] المدنية، والنتائج لفرض السيطرة السياسية للفترة المكية كانت محدودة جداً، ولكنها كان لها تأثير مهم فى النتائج التى حققها رسول الله بعد ذلك فى الفترة المدنية، من تسهيل فرض السيطرة فيها على الجزيرة العربية، ومنها مكة المكرمة نفسها. وكذلك نلاحظ ـ فى هذا المجال ـ أن الجهود الكبيرة التى بذلها الرسول فى معالجة قضية أهل الكتاب، وتحمله المعاناة من أجل مخاطبتهم وإقامة الحجة عليهم، كان لها دور كبير فى تحقيق نتائج الهيمنة السياسية على مناطقهم المنيعة (هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ مِن دِيَرِهِمْ لاَِوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوَاْ أَنَّهُم مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِنَ اللهِ فَأَتَـهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَـأُوْلِى الأَبْصَارِ) [۷۲] .

القيادة غير المعصومة

المؤشر الثانى: هو حركة الدولة الإسلامية فى مدة الخلفاء الثلاثة الذين تولوا السلطة بعد الرسول والتى تم فيها إبعاد الإمام علىّ عليه السلام من قيادة التجربة الإسلامية بصورة عامة، والدولة الإسلامية [صفحه ۱۰۸] بصورة خاصة، ولكنها مع كل ذلك كانت تتصف بدرجة معينة من الإلتزام الدينى العام والقرب الزمنى من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، بحيث كان يعبر عنها الإمامعلىّ عليه السلام ـ أحياناً ـ بما روى عنه من قوله: (ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلاَّ علىَّ خاصة) [۷۳] شك، وكان يقدم فيها المشورة إلى الخلفاء ويشترك فى إدارة بعض الأمور فيها، وكان يشارك فيها أخيار الصحابة وصلحائهم وخاصتهم، أمثال سلمان الفارسى ـ الذى يعبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله بسلمان المحمدى ـ وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن مسعود، وغيرهم كثير... حيث تمكنت هذه الدولة فى فترة ربع قرن من الزمان من أن تفرض هيمنتها على جزء كبير من العالم المتحضر فى ذلك العصر (الدولة الفارسية) بكامل أجزاءها والقسط الأعظم من (الدولة الرومانية) وقسم كبير من إفريقيا. وحركة الهداية وإقامة الحجة فى هذه الفترة الزمنية، وإن لم تكن فى مستواها المطلوب، قد واكبت حركة الهيمنة والسلطة، ولكنها كانت حركة قائمة وتحضى باهتمام مناسب من الدولة، ولاسيما وأن النبى كان قد شَرَعَ فيها قبل وفاته. [صفحه ۱۰۹] ولكن هذه الحركة الرسالية (حركة إقامة الحجة) لو كانت بالمستوى المطلوب، لأمكن أن يتحقق إنجاز أعظم على مستوى تثبيت القواعد والدعائم فى هذه المنطقة، ولأمكن فرض السيطرة الكاملة ـ أيضاً ـ على جميع أجزاء الدولة الرومانية. ولكن بسبب التلكؤ فى حركة الهداية من ناحية، وإقصاء الإمام علىّ عليه السلام عن قيادة الحكم من ناحية أخرى، بقيت الجيوش الإسلامية تواجه مقاومة داخلية وخارجية، أى فى داخل الجزيرة العربية من خلال حركة الإرتداد والتمرد والاختلاف فى تفسير النصوص الإسلامية، أو من خارج الجزيرة فى مناطق إيران وتركيا وإفريقيا، وغيرها من المناطق التى وقعت تحت سيطرة الجيوش الإسلامية، وكذلك كانت تواجه مقاومة خارجية من

الدولة الرومانية فى آسيا وعمقها الجغرافى فى اُروپا وبعض مناطق إفريقيا. ومن ناحية ثالثة كانت الاختلافات الداخلية التى بدأت ونمت وتجذرت فى زمن الخليفة عثمان بسبب الاِنحرافات فى السلطة، ثم تفجرت فى زمن الاِمام علىّ عليه السلام عليه والاِمام الحسن عليه السلام من بعده بسبب تمرد معاوية على السلطة الشرعية، كل هذه العوامل كانت وراء التلكؤ فى حركة الهداية. وهذا هو ما تنبأت به الزهراء عليها السلام فى خطبتها المعروفة حول [صفحه ۱۱۰] الخلافة والبيعة والمطالبة بحقوقها [۷۴] وما تنبأ به سلمان الفارسى ـ أيضاً ـ فى تلك المناسبة عندما كان يردد قول: (والله لو وليتموها عليّاً لَاكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم). وقد كان فى النموذج الذى قدمه الاِمام علىّ عليه السلام فى السنوات الاَربع من حكمه، بالرغم من إنشغاله بالحروب الداخلية، أفضل دليل على ما كان يمكن أن يتحقق على مستوى الخط الثالث من حركة الرسالة، وهو التطبيق الكامل للاَحكام الشرعية.

مشاكل الدولة و تراجعها

المؤشر الثالث: حركة الدولة الاِسلامية فى عهد الاَمويين [صفحه ۱۱۱] والعباسيين، فانه بالرغم من وجود فوارق رئيسية بين العهدين لا مجال لبحثهما [۷۵] . فأنه بالرغم من القوة والمنعة اللتان كانتا تتمتعان بهما، ولاسيما فى العهد العباسى والتطور الكبير الذى شهده فى القدرة المادية والتنظيم الاِدارى والمدنى، إلا إن حركة الدولة فيهما كانت تتصف ـ بصورة عامة ـ بصفتين سلبيتين رئيسيتين: إحداهما: أن القضية الاَولى والهم الاَعظم للدولة فى هذين العهدين كان هو فرض السلطة السياسية وبسط الهيمنة المادية والحصول على الاِمكانات والثروات على الاَرض، سواء فى داخل الدولة الاِسلامية أو فى خارجها، وهو ما نعبر عنه نظرياً بالاِتجاه إلى تحويل الدولة إلى دولة كسروية وقيصرية، وبذلك تخلت الدولة ـ لا الاَمة ـ عن مشروعها الرسالى الاَساس. ثانيهما: الصراعات الداخلية وأولوية القضاء على الخصوم السياسيين الداخليين، سواء التقليديين منهم أو الاَقربين، وممارسة عمليات القمع السياسى، حتى لو لم يكن ذا طابع عسكرى مسلح، الاَمر الذى أدى إلى إضعاف القدرة الاِسلامية، وتبديد الطاقات [صفحه ۱۱۲] والاِمكانات التى كانت تملكها الاَمة. ومن الظواهر والنتائج التى تؤشر على هذه الحقيقة: ۱ـ ظاهرة القمع الوحشى لحركة الاِصلاح ـ الخروج على الدولة ـ المبررة شرعاً فى الواقع أو الظاهر والتى بدأت بنهضة الاِمام الحسين عليه السلام واستمرت بصور متعددة، مثل حركة المدينة المنورة ووقعة الحرة، وحركة ابن الزبير، وحركة التوابين والمختار الثقفى، وحركة زيد بن على وأولاده، وحركة الحسين بن على صاحب فخ، وقبله محمد وإبراهيم ابنى عبدالله بن الحسن المثنى. ۲ـ ظاهرة التوقف، ثم تراجع الدولة الاِسلامية فى حركة الفتح الاِسلامى على أبواب أوربا الغربية وأفرقيا الجنوبية وأسيا الوسطى والجنوبية. ۳ـ ظاهرة انتشار الهدى فى بعض المناطق داخل الدولة الاِسلامية أو المجاورة لها على أيدى المشردين والمطاردين السياسيين من أهل البيت وأبنائهم وشيعتهم، كما فى بعض مناطق الغرب العربى وإفريقيا السوداء وبلاد الترك والديلم، وغيرها من البلاد. ۴ـ ظاهرة سيطرة القبائل والشعوب حديثة العهد على مقدرات الدولة، لاَسباب التترس بها فى الصراعات الداخلية. [صفحه ۱۱۳] ۵ـ ظاهرة الحروب والغزوات ذات الطابع العدوانى والمكاسب المادية فى الغنائم والاِماء، الاَمر الذى أدى إلى بروز ظاهرة الدفاع عن النفس فى الشعوب المجاورة، وتنافى المشاعر القومية والطائفية. ۶ـ ظاهرة الاِنشقاقات العنيفة فى داخل السلطة الواحدة والبيت الواحد، مثل بعض الاَحداث التى وقعت فى زمن الاَمويين والعباسيين، ومنها اقتتال المأمون والاَمين ولدى هارون الرشيد. وإلى غير ذلك من الظواهر السيئة البعيدة عن الاِسلام وأهدافه وقيمه ومثله. وبذلك يمكن أن نفهم الكثير من المواقف والاِدانات التى كانت تصدر عن أهل البيت بالنسبة إلى هذه الظواهر. مثل رفض وإدانة التعاون مع حكام الجور. وظاهرة رفض المشاركة فى الحروب والغزوات وإدانتها، مع التأكيد على وجوب المرابطة والدفاع. وظاهرة الطعن بشرعية أموال الغنائم وتملك الاِماء فى هذه العمليات العدوانية. وكذلك يمكن أن نفهم السبب فى وقوف الجيوش الاِسلامية المنظمة والقوية عاجزة أمام القبائل الاَوربية الوحشية وغير المنظمة المستقرة فى مجاهل أوربا والاِكتفاء بالاِستقرار فى الاَندلس وحدها، [صفحه ۱۱۴] ثم التراجع عنها. وكذلك السبب فى وقوفها عاجزة أمام قبائل المغول الوحشية وغير المنظمة فى مجاهل آسيا، ثم التراجع أمامها، بحيث أدى إلى

سقوط أكثر العالم الإسلامى بيدهم. وكذلك السبب فى تحول الدولة الإسلامية إلى يد الدولة المغولية فى إيران أو العثمانية فى تركيا...الخ.

الاستنتاج

إن دراسة هذه الأمور الثلاثة الرئيسية مع خصائصها وظواهرها ومؤشراتها، سوف ينتهى بنا إلى هذا التصور ـ الذى ذكرناه ـ فى تفسير ظاهرة الأئمة الإثنى عشر، وهو أن مدة إمامة هؤلاء الأئمة بحسب تقدير الحكمة والعدل الإلهى فى هداية الناس، تمثل دورة زمنية مناسبة لإعداد الأمة وتأهيلها للقيام بهذا الواجب الإلهى، وهو الخلافة لله تعالى فى الأرض كأمة وجماعة، وتكون بذلك مصداقاً لقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...) [۷۶] ولقوله تعالى: (الَّذِينَ إِن مَكَّنَّهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلوةَ وَءَاتَوُاْ الزَّكَوةَ [صفحه ۱۱۵] وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلهِ عَـقِبَةُ الاُمُورِ) [۷۷] وبذلك يعم العدل ويقوم القسط بين الناس ويحكم الحق فيهم ويتحقق الوعد الإلهى لهم (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّـلِحَـتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا...) [۷۸] . إن هذه الدراسة، سوف توضح أن زخم الهدى والصلاح الذى تركه رسول الله فى أصحابه لو استمر بالطريقة التى شرعها الله تعالى، وبلغها رسول الله لأمته وبذل كل جهده لإقامة الحجة عليها، بحيث تحفظ فيها موازنة حركة الهداية مع حركة السلطة، كان كفيلاً بتحقيق هذا الهدف الكبير فى هذه المدة الزمنية، هذا الزخم الذى رأينا أثره وفعله وتأثيره فى العالم المحيط بالمسلمين ـ بالرغم من الإنحراف الذى تعرّضت له فى المسيرة فى أهم موقع لها ـ بحيث تداعت أركان الدولة الفارسية بأكملها، وكادت أن تسقط به ـ أيضاً ـ أركان الدولة الرومانية، وهما الدولتان المتحضرتان القويتان فى ذلك العصر، وتفتح فيه أبواب القبائل الوثنية المشتتة فى العالم، فى مدة لا تزيد على ربع [صفحه ۱۱۶] قرن من الزمن، كل ذلك لتحقق، لو كانت القيادة لهذا الزخم الرسالى الإلهى قيادة ربانية مدعومة بمسيرة الهدى والصلاح وإقامة الحجة على الناس، وتذليل النفوس والقلوب قبل تذليل الأجساد والقوى المادية؟! إن تنسيق حركة الهدى مع حركة الهيمنة وتقدمها على حركة القدرة والسلطة، قد يؤجل بسط الهيمنة المادية بعض الوقت، ولكنه سوف يفرض تصاعداً حتمياً مثمراً فى الخط البيانى لمسيرة الخطوط الثلاثة، الأمر الذى يؤدى إلى تحقيق هذا الهدف الحتمى الإلهى العظيم (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّـلِحُونَ - إِنَّ فِى هذا لَبَلَـغًا لِقَوْمٍ عَـبِدِينَ - وَمَا أَرْسَلْنَـكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَـلَمِينَ) [۷۹] . كما أن (عملية) بسط العدل والحق المطلق والهيمنة الكاملة لها وحل جميع معالم وصور الإختلاف بين الناس التى أشارت إليها آية سورة النور السابقة، قد تحتاج إلى وقت أطول من وقت عملية إقامة الحجة وعملية بسط الهيمنة السياسية، لأنها أكثر تعقيداً من العمليتين الأخيرتين، ولكن هذا الوقت المفترض وهذه المدة المحدودة تكفى [صفحه ۱۱۷] ـ بأذن الله ـ فى تحقيق كل ذلك، كما تشير إليه هذه الملاحظات [۸۰] . وعندما يتحقق هذا الهدف الكبير قد ينتهى بذلك بعض أدوار الإمامة المعصومة، بعد أن تكون الأمة قد بلغت الرشد فى حركة الهداية، وأصبحت معصومة كأمة، وتمت سيطرة الإيمان والدين سياسياً حتى لا تكون فتنة ويقوم القسط بين الناس، ووضعت أوزار الخلافات والخصومات، وأصبحت العبادة لله تعالى وحده دون غيره، لايشرك بعبادته أحد من الناس، وتصبح الحجة لله البالغة على الناس، ويبدأ دور جديد للإمامة المعصومة هو دور (الرجعة). ولكن شاء الله تعالى أن تجرى الأمور بطريقة أخرى، لمزيد من الإمتحان والإبتلاء والإختبار لهذه الأمة، ولمزيد من التكامل الإنسانى من خلاله مما جعل المدة أطول، فكانت الغيبة الصغرى والكبرى. [صفحه ۱۱۸] (...إِنَّ اللهَ بَـلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَىءٍ قَدْرًا) [۸۱] .

پاورقى

[۱] وقد أعاننى فى تخريج النصوص من مصادرها الأصلية ولدى العزيز الفاضل السيد محمد صادق الحكيم.

[۲] الاَحزاب: ۴۰.

[۳] البحار۲۱ :۲۰۸، حديث ۱، مستدرک الحاکم۳ :۱۰۹، صحيح البخارى۳ :۵۸، راجع کتاب المراجعات:۱۱۹، مراجعة رقم ۲۸، وقد ذکر فيه مصادر علماء المسلمين.

[۴] عالجنا هـذا الموضوع فى بحثنا حول خصائص الرسالة الاِسـلامية (العالمية، الخاتمية، الخلود)، ولمزيد من التوضـيح يمکن مراجعة البحث المذکور.

[۵] المائدة:۳.

[۶] الحجر:۹، عالجنا هذا الموضوع فى بحث ثبوت النص القرآنى من کتابنا علوم القرآن:۹۹.

[۷] أشرنا إلى هذا الدور فى بحث التفسير عند أهل البيت عليهم السلام الذى نشر جانب منه فى کتابنا علوم القرآن:۳۰۷.

[۸] البقرة:۲۱۳.

[۹] إصطلاح إستخدمه الشهيد الصدر قدس سره فى بحثه حول التفسير الموضوعى، عندما طرح فکرة المثل الاَعلى فى العبادة:۱۸۴. [

[۱۰] النجم:۲۳.

[۱۱] التفسير الموضوعى:۱۹۵ـ ۱۹۶.

[۱۲] هود: ۱۱۸ ـ ۱۱۹.

[۱۳] البقرة:۱۷۴ ـ ۱۷۶.

[۱۴] الجاثية:۱۶ـ ۱۷.

[۱۵] البقرة:۲۱۳.

[۱۶] ذکرنا هذه الحقيقة مع بعض شواهدها فى بحثنا عن التفسـير فى زمن النبى (علوم القرآن) وفى بحثنا عن التفسـير عند أهل البيت، وسوف نتناول هذا الموضوع مرة أخرى بصورة تفصيلية فى البحث عن المرجعية الفکرية لاَهل البيت عليهم السلام.

[۱۷] البحار۳۶ :۳۳۱، حـديث ۱۹۰، وقـد ورد مضـمون القتـال على التأويـل والقتـال على التنزيـل فى عـدد من النصـوص الـتى رواها الفريقان.

[۱۸] لا أريـد أن أتعرض هنا إلى جميع إمتيازات الرسالـة الخاتمـة على الرسالات السابقـة، وقـد أشـرت إلى بعض هـذه الاِمتيازات فى بحث (العالمية والخاتمية والخلود) فى رسالة الاِسلام، ولکن أريد أن أشير هنا إلى الاِمتيازات التى هى محل الشاهد فى بحثنا هذا.

[۱۹] المائدة:۴۴و۴۵و۴۷.

[۲۰] وقد أشار إلى ذلک القرآن الکريم فى سورة المائدة الآيات ۲۱ ـ ۲۶.

[۲۱] هذا بحث عميق وفيه الکثير من التفاصـيل، وقلت اننى أشـير هنا إلى العناوين الکلية، ومن هذه التفاصـيل تفسير ظاهرة قيام الدول التى أقامهـا بعض الاَنبيـاء، کـداود وسـليمان عليهمـا السـلام، وغيرهما من الاَنبياء الـذين أقاموا دولاً، وأشار القرآن الکريم إلى ذلک، عنـدما يتحدث عن تفضـيل ونعم الله على بنى إسـرائيل بقوله تعالى: (...إِذْ جَعَلَ فِيکُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَکُم مُّلُوکًا...)، المائدة:۲۰، فأن بعض هؤلاء الاَنبياء أقاموا دولـة، ولکن هـذه الدولة التى أقاموها تختلف بحسب مضـمونها وهويتها وخصوصـياتها عن هذه الدولة الاِسـلامية التى أقامها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بحسب سعتها ودائرة وجودها وتفاصيلها، بل بحسب الهوية والمضمون ـ أيضا ـ وهذا بحث أشرت له بصورة موجزة ـ أيضاً ـ فى بحث (العالمية والخاتمة والخلود) کصفات للرسالة الاِسلامية.

[۲۲] سوف نتناوله بشى من التفصيل، عندما نتحدث عن دور أئمة أهل البيت فى قيادة الحکم الاِسلامى.

[۲۳] الشورى:۲۳.

[۲۴] هذا البحث له محله الخاص، وهو بحث کلامى عقائدى له أساليبه وأدلته وبراهينه الخاصة به ـ أيضاً ـ نتناوله فى محله، وإنما نريد

فى هذا البحث أن نفسر هذه الظاهرة، ظاهرة تعيين الإمامة وتشخيصها فى خصوص أهل البيت عليهم السلام تفسيراً ينسجم مع الأطر العامة التى جاء بها الإسلام، وأكدها القرآن الكريم، وترتبط ـ أيضاً ـ بمسيرة الإنسان وتكامله.

[۲۵] هذا بحث قرآنى واجتماعى مهم يرتبط بدراسة علاقة الإنسان بذريته، وشعوره بالبقاء والخلود من خلالها.

[۲۶] البقرة:۱۲۴.

[۲۷] البقرة:۱۲۷ ـ ۱۲۹.

[۲۸] البحار۱۲ :۹۲، حديث ۱.

[۲۹] الأنعام:۸۳ ـ ۸۷.

[۳۰] الآية:۵۸.

[۳۱] الآية:۲۶.

[۳۲] السجدة:۹.

[۳۳] العنكبوت:۶۴.

[۳۴] الأعراف:۱۷۲.

[۳۵] آل عمران:۳۳ ـ ۳۴، وهناك آيات عديدة، يمكن أن يجدها الباحث فى مادة الإصطفاء والإجتباء وغيرها، فى المعجم المفهرس.

[۳۶] الأحزاب:۳۳.

[۳۷] الإسلام يقود الحياة |خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء:۱۶۶، كما فى لوط عليه السلام الذى كان يرتبط بإبراهيم، أو فى يوشع الذى كان يرتبط بموسى، أو يرتبطون به وبذريته، كما هو الحال فى إسحاق وإسماعيل ويعقوب وذرية يعقوب التى أشرنا إليها.

[۳۸] الحديد:۲۶.

[۳۹] البحار۲۸ :۸، حديث۱۱، عن تفسير القمى، وجاء هذا الحديث فى كتب الفرقين إما بلفظه أو بمضمونه، مثل مجمع البيان۵ :۴۹، وكمال الدين:۵۷۶، طبعة مكتبة الصدوق، وصحيح البخارى:باب ۵۰ من كتاب الأنبياء، وصحيح مسلم الحديث ۶ من كتاب العلم، سنن بن ماجه باب ۱۷، من كتاب الفتن...الخ.

[۴۰] البقرة: ۱۳۱ ـ ۱۳۳.

[۴۱] الحج:۷۸.

[۴۲] البقرة:۱۲۹.

[۴۳] الأحقاف:۳۵.

[۴۴] إبراهيم: ۲۴ ـ ۲۶.

[۴۵] البقرة:۱۲۴، الإسلام يقود الحياة |خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء:۱۶۷.

[۴۶] صحيح أنه قد نشاهد ـ أحياناً ـ فى داخل البيت الرسالى أشخاصاً يشذّون عن المسيرة وعن الإرتباط بالرسالة، كما يذكر القرآن الكريم بعض النمادج. ومن هذه النماذج ابن نوح عليه السلام، عندما يذكره القرآن الكريم كنموذج لخروج ولد لرسولٍ عن أهداف الرسالة ومسيرتها. ونموذج آخر يذكره القرآن الكريم، له بعد آخر من الخروج وهو أب إبراهيم ـ كما يعبّر عنه القرآن الكريم ـ الذى قد يكون هدف القرآن الكريم من التأكيد عليه هو تفسير موقف (أبى لهب) من النبى صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره قريباً لرسول الله وعمه، ومع ذلك خرج على هذه الرسالة، وهو الشخص الوحيد الذى ذكره القرآن الكريم بالاسم من المشركين، أو أراد به بعض أقرباء الرسول الذين كانوا بمستوى الأعمام فى الحالة النسبية والإرتباط برسول الله صلى الله عليه وآله. ونموذج ثالث يذكره القرآن الكريم هو زوج نوح ولوط، كمثل لما يمكن أن تقفه الزوجة من صاحب الرسالة، فانها وإن لم تكن من ذريته وبيته، ولكنها عادة ما

تكون تحت تأثير عمله.

[۴۷] البحار۲۸ :۱۹۹، حديث ۶،وجاء فى مستدرك الصحيحين۳ :۱۲۶، عن ابن عباس ما لفظه، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإِسناد، وكذلك جاء فى كنز العمال۱۱ :۶۰۰، حديث ۳۲۸۹۰، و۶۱۴، حديث ۳۲۹۷۸، و۳۲۹۷۹، و۱۳:۱۴۷، حديث ۳۶۴۶۳.

[۴۸] البحار۲۶ :۲۹ ـ ۳۰، حديث ۳۶ و ۳۷، و۳۳ عن أبى عبدالله الصادق عليه السلام، فى تفسير الفخر الرازى الكبير، فى ذيل تفسير قوله تعالى: (ان الله اصطفى آدم ونوحاً...)، (آل عمران:۳۳)، قال: على (عليه السلام): علمنى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم واستنبطت من كل باب ألف باب، قال: فاذا كان حال المولى هكذا فكيف حال النبى(صلى الله عليه وآله)، وكذلك جاء الحديث فى كنز العمال۱۳ :۱۱۴، حديث ۳۶۳۷۲.

[۴۹] لهذه البيوت الطاهرة خصوصيات، قد يعجز الإِنسان عن اختيار الألفاظ المناسبة المؤدبة تجاهها، عندما يريد أن يتحدث عن بعض علاقاتها، ولكن على أى حال التاريخ يشهد فى كثير من النصوص، بأن هذا الإِقتراب من علىّ عليه السلام، وعناية رسول الله صلى الله عليه وآله لعلىّ عليه السلام فى هذا الجانب ـ جانب الإِعداد والتعليم والتأهيل لتحمل هذه المسؤولية ـ كان يثير فى كثير من الأحيان الحسد أو الغيرة أو غير ذلك من الإِنفعالات حتى فى دائرة الأشخاص القريبة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

[۵۰] مثل يحيى وعيسى عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء، ومثل الإِمام الجواد والإِمام الهادى عليهم السلام وغيرهما.

[۵۱] فى العصور المتأخرة كانت هناك أسر علمية أخرى من قبيل أسرة آل بحر العلوم، وإسرة آل كاشف الغطاء، أسرة آل شيخ راضى، وآل الجواهرى، وآل الصدر، وآل شبر، وهكذا أسرة الشيخ الأنصارى ـ من بناته ـ وقبلهم الشيخ المجلسى، والوحيد البهبهانى، وغيرهم الكثير. ولا ينبغى أن يذهب الظن إلى أن هذا الاعداد لايمكن أن يتم إلاَّ من خلال ذلك، بل قد نجد فى التاريخ أشخاص متميزين فى التقوى والعلم والشجاعة لم يعرفوا بأنهم من أبناء هذه الأسر، ولكن المقصود أن الأسرة تمثل عاملاً طبيعياً للاعداد.

[۵۲] المؤمنون:۱۰۱.

[۵۳] تذكر بعض النصوص استثناءاً فى التأثير لنسب رسول الله صلى الله عليه وآله فى يوم القيامة، وهو أمر يحتاج إلى بحث علمى واجتماعى لهذه النصوص، لا مجال له فى حديثنا فى الوقت الحاضر.

[۵۴] الأعراف:۵۸.

[۵۵] الأنفال:۷۵.

[۵۶] الحجرات:۱۳.

[۵۷] الأنفال:۷۵.

[۵۸] التوبة:۲۴.

[۵۹] ذكرت فى محاضرة سابقة، أن الزهراء عندما أرادت أن تستثير المسلمين تجاه مظلوميتها، تحدثت فى البداية عن حقوقها المغتصبة، فى الخطبة المعروفة التى يتحدث عنها خطباء المنبر، ولكن فى حركة أخرى دخلت الزهراء عليها السلام إلى المسلمين من هذا المدخل، أى مدخل أنها ابنة رسول الله، ويجب ان تحمى باعتبار هذه القرابة وهذه الصلة برسول الله، وعندما تحدثت مع الأنصار الذين كانوا قد دخلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فى ميثاق وعهد بأن يحموا رسول الله وأهله، وقد تخلفوا عن هذه الحماية بعد وفاته، تحدثت معهم من هذا المدخل وخاطبتهم بصورة خاصة (ايها بنى قبله)، وهذا المنطلق يعبّر عن حقيقة كانت قائمة فى الحالة الاجتماعية حينذاك.

[۶۰] راجع بحار الأنوار۳۶ :۲۲۶ ـ ۳۷۳، باب نصوص النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الأئمة عليهم السلام، وصحيح البخارى۵ :۹۰ و۹۲، صحيح الترمذى۲ :۳۵، وغيرها من الصحاح.

[۶۱] البحار۳۶ :۳۷۳ ـ ۴۱۴.

[۶۲] الرجعة فكرة ورد تأكيدها فى روايات أهل البيت عليهم السلام إلى حد التواتر أو التظافر، وأشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى: (قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ) غافر:۱۱، ويوجد فيها تفاصيل لا تبلغ حد القطع واليقين، ولا مجال لبحثها فى هذا العرض، ولعلنا نوفق لذلك فى كتاب آخر لهذه الموسوعة، نتناول فيه عدد من القضايا والأفكار.

[۶۳] الأحزاب:۷.

[۶۴] المائدة:۱۲.

[۶۵] كنز العمال:۱۰۳، برقم:۴۶۵.

[۶۶] هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من البحث والتوضيح لخصوصياته وتفاصيله، قد نوفق لتناوله عند تناول موضوع (الرجعة)، حيث يتبين من خلال ذلك البحث تفسير عدة قضايا مهمة: ۱ ـ حقيقة الرجعة.

[۶۷] وقد تناولنا جانباً مهماً من هذا البحث فى كتابنا (المجتمع الإنسانى فى القرآن الكريم)، كما أشار إلى بعض جوانبه الشهيد الصدر قدس سره فى أبحاثه الاجتماعية، ومنها (خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء) والسنن التاريخية فى محاضرات (التفسير الموضوعى).

[۶۸] التوبة:۳۳.

[۶۹] الأنفال:۳۹.

[۷۰] غافر:۵۱.

[۷۱] يراجع ـ أيضاً ـ فى ذلك بحثنا حول (العالمية والخاتمية والخلود) من خصائص الرسالة الإسلامية، وبحثنا حول الهجرة ومعطياتها.

[۷۲] الحشر:۲.

[۷۳] نهج البلاغة:خطبة ۷۴.

[۷۴] (...والله لو تكافّوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله إليه لاعتلقه، ولسار بهم سيراً سجحا، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفّتاه ولأصدرهم بطاناً، قد تحيّر بهم الرَّيُّ غير متحلّ منه بطائل إلّا بغمر الماء وردعة شررة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون. ...أما لعمر إلهك لقد لقحت فنظرة ريثَ ما تنتج ثمَّ احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون، غبَّ ما سنَّ الأوَّلون، ثمَّ طيبوا عن أنفسكم أنفساً، وطأمنوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وزرعكم حصيداً فياحسرتى لكم، وأنى بكم، وقد عميت (قلوبكم) عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.)، البحار۴۳ :۱۵۸ ـ ۱۵۹، حديث ۸.

[۷۵] تناولناها فى بعض محاضراتنا حول الإمام الصادق عليه السلام، وسوف نتحدث عنها ـ إن شاء الله ـ عند الحديث عن أدوار أئمة أهل البيت عليهم السلام ومواقفهم.

[۷۶] آل عمران:۱۱۰.

[۷۷] الحج:۴۱.

[۷۸] النور:۵۵.

[۷۹] الأنبياء:۱۰۵ ـ ۱۰۷.

[۸۰] لقد كانت هذه النتائج هى التى أشارت إليها الزهراء عليها السلام فى خطبتها المعروفة، وسلمان الفارسى فى تعليقته ـ كما أشرنا إلى ذلك ـ وبهذا الصدد تنقل طريفة تعبر عن جانب من هذه الرؤية، وهى أن أحد المستشرقين البريطانيين الذين كانوا يصطحبون القوات البريطانية فى فتحها للعراق فى الحرب العالمية الأولى، دخل إلى مسجد الكوفة بعد الفتح وشاهد بناءه المتواضع ومواضع الإمام على (عليه السلام) فيه وفى الكوفة، فعلق على ذلك بما معناه (أن لمعاوية وابن ملجم ـ قاتل الإمام على ـ فضل كبير على الأمة

البريطانية، إذ لولاهما لرأيت مسجد الكوفة هذا يعج بالقبعات البريطانية المؤمنين).

[۸۱] الطلاق:۳.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹